

الحركة الإسلامية في فلسطين الـ48 بين عامي 1971-2004م النشاط المؤسسي والمشاركة السياسية والعلاقة مع "إسرائيل"

د. عدنان عبد الرحمن أبو عامر

أستاذ القضية الفلسطينية المساعد

جامعة الأمة - غزة

ملخص: تقدم الدراسة استعراضاً تفصيلياً لأهم المراحل التاريخية التي مرت بها الحركة الإسلامية داخل فلسطين المحتلة عام 1948 بين عامي 1971-2004، بعد أن باتت تمثل نموذجاً حياً لمواجهة الفلسطينيين لآلة الحكم الإسرائيلي، التي بذلت جهوداً حثيثة لتذويب عرب الـ48 ضمن الرؤية الإسرائيلية، وسلخ أي ارتباط لهم بجذورهم العربية والإسلامية. وتسعى الدراسة لإبراز أهم التحديات التي واجهت الحركة، داخلية وخارجية، فكرية وسياسية وأمنية وإعلامية، من خلال اختبار قدرتها على التغلب عليها، ومحاولة تجاوزها، فضلاً عن الجانب الأهلي والنشاط الجمعياتي الذي قامت به، ودوره في التخفيف من معاناة الفلسطينيين من جهة، ومن جهة أخرى أثره في استقطاب الأنصار إلى صفوف الحركة. كما تتناول الدراسة التحول التاريخي الذي مرت به الحركة من خلال حالة الانشقاق التنظيمي، بفعل الخلاف الواقع بين أقطابها وقياداتها السياسية والميدانية، لاسيما حول المشاركة في الانتخابات البرلمانية للكنيست الإسرائيلي. وتختتم الدراسة بالحديث عن العلاقة المتوترة بين الحركة والسلطات الإسرائيلية، خاصة في ضوء ملاحظتها المتواصلة ومطاردتها الدائمة، بعد الإدراك الإسرائيلي لطبيعة الدور الذي قامت به الحركة، ومحافظتها على الهوية الوطنية للشعب الفلسطيني.

Islamic Movement in Palestine-48 between 1971-2004: Institutional Activities, Political Participation and the Relation with Israel

Abstract: The study provides a detailed overview of the most important historical stages through which the Islamic movement inside the occupied Palestine in 1948, between 1971-2004, having come to represent a vivid example of the face of the Palestinians to machine Israeli rule, which has made strenuous efforts to dissolve the Arabs of the 48 within the Israeli vision, and pick off any link to them Arab and Islamic roots. The study seeks to highlight the most important challenges faced by the movement there, both internal and external, intellectual, political, security and media, by testing their ability to overcome them, and try to overcome, as well as the civil and activity associative done, and its role in alleviating the suffering of the Palestinians on the one hand, and On the other hand its effect in attracting supporters to the ranks of the movement. The study deals with the historic transformation experienced by the movement during a state of organizational dissent, by the

د. عدنان أبو عامر

actual difference between its prominent leaders and political leaders and field, especially on participation in the parliamentary elections for the Israeli Knesset. The study concludes by talking about the strained relationship between the movement and the Israeli authorities, especially in light of the continuing prosecution and pursuit of permanent, after the Israeli perception of the nature of the role played by the movement, and maintaining the national identity of the Palestinian people.

أولاً: التطور التاريخي

تعود الجذور التاريخية الأولى للحركة الإسلامية إلى عقد السبعينيات من القرن العشرين؛ حيث تضافرت عدة عوامل أدت إلى تصاعد التيار الإسلامي لدى عرب الـ48، من أهمها:

أ- حرب الخامس من حزيران لعام 1967، التي أدت إلى فقدان الثقة بالأنظمة السياسية العربية القائمة.

ب- استئناف الاتصال المباشر بالفلسطينيين والعلماء في الضفة الغربية وقطاع غزة، مما أوجد حوافز منشطة للعودة إلى الدين، إلى جانب نشاط الحركات الإسلامية هناك كالإخوان المسلمين، وحزب التحرير.

ج- توجه عدد كبير من الشباب العربي إلى الدراسة في الكليات الإسلامية داخل الضفة الغربية، مثل كلية الشريعة في الخليل، والمعهد الديني في نابلس.

د- الثورة الإسلامية في إيران عام 1979، ورفعها لشعار الدولة الإسلامية.

هـ- تراجع الفكر اليساري في الدول العربية لصالح الاتجاه الإسلامي، وتعاضد دور الحركات الإسلامية فيها.⁽¹⁾

وتعتبر الحركة نفسها دينية سياسية، تنشط في أوساط العرب الفلسطينيين ممن يملكون الجنسية الإسرائيلية، ولا تربطها علاقات تنظيمية بحركات إسلامية أخرى؛ لأنها تعمل في إطار القانون الإسرائيلي، رغم خضوع بعض قادتها لمحاكمات عسكرية بتهمة التعاون مع عناصر معادية للدولة، وتنظيم فعاليات غير قانونية.

وقد ظهرت النواة الأساسية للحركة في منطقة "الملتث" عام 1971، ذات الأغلبية المسلمة، وهي تمتد بين مدينتي كفر قاسم وأم الفحم على الحدود مع الضفة الغربية، ثم توسعت، وأقامت مراكز في منطقتي الجليل والنقب.

(1) لطفي، صالح، الحركة الإسلامية تطلعات وتحديات، شؤون دولية، ع1، 1994، مركز الدراسات المعاصرة، أم الفحم، ص43.

الحركة الإسلامية في فلسطين الـ48 بين عامي 1971-2004م

وكان الشيخ "عبد الله نمر درويش" من أوائل مؤسسيها، حيث تخرج من المعهد الديني في مدينة نابلس، وبدأ يدعو للعودة للإسلام، ويعمل على بناء جيل يحمله عقيدة وشريعة ونظام حياة، وبدأت دعوته تصل القرى المجاورة، وتحديداً في "كفر برا وجلجولية والطيبة".

وفي عام 1978، وصلت الحركة إلى مدن أم الفحم وبقعة الغربية و"جت" شمالي المثلث، ثم النقب، وما لبثت عام 1980 أن وصلت مدينة الناصرة وبعض قرى الجليل.⁽¹⁾

ومن خلال تحليل الأدبيات الصادرة عن الحركة من جهة، ومتابعة العمل الميداني الذي قامت به من جهة أخرى، يبدو من الصعب تحديد بداية كل مرحلة تاريخية بدقة، ومع ذلك، فبالإمكان إجراء تقسيم تاريخي حول تطورها على النحو التالي:

1- مرحلة 1948-1967: حيث عانى العرب في فلسطين المحتلة من مأساة الهزيمة، وتحولوا في أعقابها إلى "أقلية" داخل ما بات يعرف بـ"دولة إسرائيل"، وأغلبية هذه الأقلية كانت من المسلمين.

وأدى قيام "إسرائيل" إلى تحول عميق في البناء الاقتصادي والاجتماعي والسياسي للمجتمع الفلسطيني هناك، وجاء الحكم العسكري ليفرض على العرب عام 1949 إجراءات صارمة، أسفرت عن تدمير كل محاولة لإقامة قيادة قطرية، أو مؤسسات سياسية وثقافية، بل قام بإنشاء قيادات محلية وتقليدية اعتمدت على المبنى العائلي التقليدي، لذلك ظهرت طبقة "المخاتير" ورؤساء الحمائل الذين أداروا صراعات على السيطرة الداخلية في القرى من خلال استخدام مؤسسات الحكم العسكري.⁽²⁾

ومنذ قيام الكيان الإسرائيلي، وحتى بداية سنوات السبعينيات، لم تتأسس أي حركة دينية لدى العرب، بل حصرت وظيفة "رجال الدين" المسلمين بطقوس دينية، ومعالجة شؤونهم الشرعية، وأحوالهم الشخصية، مما أسفر عن وجود فراغ كبير في المجال الديني، فالكثير منهم تركوا أو طردوا مع أكثرية العرب، وأبقيت الجماهير المسلمة دون أماكن مقدسة.⁽³⁾

ولم تحظ التربية الدينية، أو تعليم الدين الإسلامي بالتشجيع في جهاز التعليم الرسمي، بل جاءت الساعات التي خصصت لتعليمه قليلة جداً، وتم تقليص تدريس القرآن الكريم الذي انتشر في المجتمع العربي.

(1) أبو عامر، عدنان، الحركة الإسلامية بين الدعوة والسياسة، مركز الإعلام العربي، القاهرة، 2006، ص 23.

(2) لطفي، مرجع سابق، ص 47.

(3) المجتمع العربي في الداخل الفلسطيني، مركز الدراسات المعاصرة، 2006، ص 127.

د. عدنان أبو عامر

وهكذا شدد الحكم العسكري، والجو العلماني العام في "إسرائيل" في سنوات الخمسينيات، وبداية سنوات الستينيات، على خنق أي شروط ملائمة لتطور حركة دينية إسلامية، ولم يشجع المناخ الثقافي والأيدولوجي السائد في عموم المنطقة العربية على ثقافة دينية مسلمة، بعد أن انتشرت الأفكار القومية والبعثية في مصر وسوريا.

وبالتالي بات النشاط الإسلامي الوحيد الذي أمكن مشاهدته آنذاك بمستوى "الدين الشعبي"، في إطار جماعات صوفية في عكا والمثلث، لكنه بدأ قبل قيام "إسرائيل" بكثير، وله تاريخ طويل المدى منذ العهد العثماني في فلسطين.⁽¹⁾

وفي منتصف سنوات الستينيات، خاصة مع زيارة "بابا الفاتيكان" إلى "إسرائيل" عام 1964 بدأت صحوة مؤقتة للنشاط الإسلامي، خاصة بين الشباب، كرد فعل مباشر على إقامة نوادي مسيحية في الناصرة وعدة قرى مختلطة في الجليل كقرية عبلين.

وأقيمت في قرى أخرى نوادي إسلامية، وأطلق أعضاء النادي لحاهم، وشجبوا قمع الإخوان المسلمين في مصر، واعترضوا على إعدام المفكر "سيد قطب"، وانشغلوا في نشاطات تطوعية كبناء مسجد السلام في الحي الشرقي الإسلامي بمدينة الناصرة.⁽²⁾

2- مرحلة 1967-1983: ارتبطت الصحوة الإسلامية بين عرب فلسطين المحتلة بمجموعتين من العوامل:

أ- **المجموعة الأولى:** بالتقاء ظروف خاصة ومحلية مروا بها،

ب- **المجموعة الثانية:** بالظروف العامة المرتبطة بالصحوة منذ السبعينيات.

ونتيجة للأزمات المتعددة الأبعاد داخل الوسط العربي في "إسرائيل"، زاد توجه الناس للإسلام، وبالذات في صفوف الشباب، بعد أن فجرت حرب 1967 جدار "الخط الأخضر"⁽³⁾، الذي فصل بين الفلسطينيين في فترة حربي 1948، 1967، وخلق شعبين متجاورين كانوا شعباً واحداً قبل عام 1948، وعادت عقارب الساعة إلى الوراء لإزالة الحدود بينهما.

(1) توماس، ماتير، صحوة المسلمين في إسرائيل، دار "جفعات حبيبا"، مركز الدراسات العربية، تل أبيب، 1988، ص30.

(2) ريخس، إيلي، الحركة الإسلامية في إسرائيل، معهد موشيه ديان لدراسات الشرق وإفريقيا، تل أبيب، 1993، ص43.

(3) الخط الأخضر: يطلق على الخط الفاصل بين الأراضي المحتلة عامي 1948 و1967، وقد حددته الأمم المتحدة بعد هدنة عام 1949، ويمثل المنطقة الجغرافية الفاصلة بين "إسرائيل" والدول العربية المجاورة.

الحركة الإسلامية في فلسطين الـ48 بين عامي 1971-2004م

وقد عمقت إزالة الحدود بعد حرب عام 1967 من وعي الجماهير العربية في الجنتين، على خلفية الزيارات والرحلات واللقاءات، وتجدد اللقاءات العائلية في الدول العربية، وزيادة العلاقات الاجتماعية والاقتصادية والثقافية، وأصبح ممكناً للعرب التوجه للأماكن المقدسة، خاصة في القدس، وهو ما لم يحظوا به منذ 1948.⁽¹⁾

وما لبث أن شهد عقد الثمانينيات بروز عدد من الأحداث السياسية التي طبعت بصبغة "دينية"، وكان لها أكبر الأثر على التسريع في انتشار الحركة الإسلامية داخل فلسطين، ومنها:

- 1- ظهرت في إيران الثورة الإسلامية التي أطاحت بحكم "الشاه"، واستبدلته بالخميني،
- 2- في مصر عمقت الحركات الإسلامية من جذورها في المجتمع، واعتالت السادات،
- 3- عاشت سوريا مواجهة مسلحة ضارية بين الإخوان المسلمين ونظام الحكم.⁽²⁾

ومن بين تعبيرات هذه الأحداث بروز ما عرف بـ"حركة الشباب المسلم"، فمن بين فسيفساء التيارات السياسية بين السكان العرب ظهر هؤلاء كحركة دينية تحمل طابعاً خاصاً، فهم ليسوا حزباً سياسياً، ولا قائمة انتخابية، وليس تياراً فكرياً، بل ظاهرة متعددة الأوجه تضم داخلها كل التعريفات معاً.

3- مرحلة 1983 - 2004:

أعلنت السلطات الإسرائيلية في أوائل عقد الثمانينيات اكتشافها تنظيم "أسرة الجهاد"، الذي استهدف الجيش الإسرائيلي والمستوطنين، مما أثار على شباب الحركة، وتحديداً في مدينة أم الفحم، إحدى قلاعها الرئيسية.

وبعد إجراء الاعتقالات بين صفوفهم في منطقة المثلث، بدأ أن هناك هبوطاً في نشاطاتهم، وقرروا اتباع سياسة جديدة، وقياس خطواتهم بحذر، كي لا يثيروا غضب السلطات ضدهم، بحيث يمكن القول إنهم اختفوا عن الساحة إلى أجل مسمى، رغم بقائهم "القوة الديناميكية" في قرى المثلث، وشكلوا قلقاً لمنافسيهم، كالحزب الشيوعي وحركة أبناء البلد.

وجاء قرار عناصر الحركة بتخفيض نشاطاتهم، معللاً بسببين:

- 1- أنهم عرفوا أنهم متواجدون تحت أعين السلطات الإسرائيلية، ولا يريدون أن يزودوها بذريعة لاتخاذ خطوات صعبة وشديدة ضدهم.

(1) علي، نهاد، الحركة الإسلامية في إسرائيل: الأيديولوجيا والأهداف، جامعة حيفا، رسالة ماجستير، 1998، ص143.

(2) مجموعة مؤلفين، الحركة الإسلامية في إسرائيل، مركز المسبار للدراسات والبحوث، أبو ظبي، 2009، ص18.

د. عدنان أبو عامر

2- الإثبات للسلطات من خلال تصرفاتهم، عدم وجود علاقة لهم مع من اعتقلوا وحوكموا بأعمال معادية للدولة، وإعطاء مصداقية لأنفسهم أمام الجمهور العربي. وفي فترة لاحقة، تركز نشاطهم في مجال جمع الزكاة، فجمعوا مبالغ طائلة، وزعوها على العائلات المستورة، وأنفقوها على مشاريع اجتماعية وجماهيرية، وقدموا منحاً للطلاب الجامعيين الدارسين في البلاد والخارج، وفتحوا مكتبات لبيع الكتب والأدوات القرطاسية بأسعار زهيدة، وهكذا لقيت أعمالهم إقبالاً وتشجيعاً كبيرين من الجمهور العربي.⁽¹⁾ ولذلك يأتي وصف مرحلة تطور الحركة بعد عام 1983، بـ"الارتكاز"، بعد الاطلاع على المجال الأيديولوجي، المتميز بالاعتدال في المواقف السياسية، والحفاظ على القانون، وقبول الوضع القائم، ومحاولتها الاندماج بين المواطنين العرب.

ومنذ إطلاق سراح قادة "أسرة الجهاد" عام 1983، بدأت الحركة مرحلة جديدة في التنظيم السياسي، يمكن وصفها بـ"البراغماتية السياسية"، فحاولت الدمج بين الثبات على المصادر والأصول الأيديولوجية الإسلامية، وبين التوجهات الواقعية، التي فرضت نفسها على الواقع السياسي في "إسرائيل".⁽²⁾

وظهر أن قادة الحركة استخلصوا العبر من اعتقالات رجال "أسرة الجهاد"، واقتنعوا أن الحياة في "إسرائيل" تجبرهم على تغيير طريقة العمل، وطبيعة المواقف السياسية المعلنة، مما دفعها لأن تعيد تنظيم نفسها من خلال المسجل القانوني، كجمعيات إحسان وصدقة، وليس بهدف الربح المادي، والتأكيد أنها تعمل في إطار القانون الإسرائيلي، خاصة بعد انتخابات السلطات المحلية، التي أدت لتقوية الحركة بشكل واضح عام 1989.

ثانياً: الأفكار والمبادئ

نشأت الحركة الإسلامية داخل فلسطين المحتلة، وتبنت فكراً أنشأ جيلاً من الشباب الملتزم الذي آمن بشعار "الإسلام هو الحل" لمشكلات الجماعات البشرية والأفراد، ويمكن تقسيم المواقف والأفكار السياسية للحركة في القضايا التالية:

1- **حل القضية الفلسطينية:** عاشت الحركة منذ أواسط التسعينيات من القرن المنصرم هموم القضية، وأدركت مبكراً حجم المؤامرة عليها، وحملت على عاتقها هذا الهم الكبير، واعتبرتها القضية الأساسية والجوهرية في العالم العربي والإسلامي.

(1) أوبان، باز، الميثاق الإسلامي ودلالاته، مركز موشيه ديان، 1988، تل أبيب، ص 23.

(2) لظفي، مرجع سابق، ص 45.

الحركة الإسلامية في فلسطين الـ48 بين عامي 1971-2004م

كما تعتقد أن لا حل للقضية إلا بعودتها إلى ما اعتبرته "مربعها" الإسلامي الأول، الكفيل الوحيد بضمان عودة اللاجئين إلى ديارهم وأرضهم، وأخذ الحق ممن ارتكبوا جرائم حرب بحق الشعب الفلسطيني إبان النكبة التي تعرض لها.

وقال أحد قادتها الشيخ عاطف الخطيب: "تؤمن الحركة بأفضلية الحل الإسلامي للقضية الفلسطينية، وإقامة حكومة إسلامية على أرض فلسطين، ينعم تحت حكمها -المرتكز على شريعة الله- اليهود والنصارى والمسلمون".⁽¹⁾

ولأن هذا الحل يبدو غير واقعي، ويدرك قادة الحركة ذلك جيداً؛ فقد قال من قبل توقيع اتفاق "أوسلو" أواخر عام 1993: "إنهم لا يمانعون حلاً وسطاً بين "إسرائيل" ومنظمة التحرير الفلسطينية، لتحرير أي بقعة من فلسطين، وإقامة السيادة الفلسطينية عليها".⁽²⁾

أما الشيخ درويش فقال: "إنهم يقبلون بالحل السياسي الذي يتم التوصل إليه بالتفاوض بين القيادة الفلسطينية و"إسرائيل"، ويرحبون بإقامة دولة فلسطينية على أي جزء من فلسطين، حتى لو كانت في مدينة واحدة".⁽³⁾

ويضع تأصيلاً شرعياً للتفاوض مع "إسرائيل"، والصلح معها بقوله: "إن قضية الحرب خاضعة لتقدير ولي الأمر؛ أي القيادة السياسية، ومن ورائهم الخبراء العسكريون، كما أن قضايا الصلح والهدنة والمصالحة خاضعة للإمام، الذي يقدر الأمور وفقاً لقدرات الدولة وإمكاناتها، ووفقاً للوضع الدولي المحيط بالقضايا التي يراد اتخاذ القرارات بشأنها، فهو يطلع على خفايا الأمور، وقادر بمن معه من مساعدين وخبراء ومختصين على الموازنة بين الأمور لاتخاذ القرار الذي يحقق مصلحة الشعب كله، ومن هنا ندرك أن قضية الصلح وعدمه هي من صلاحياته، ويستطيع اتخاذ القرار بما فيه المصلحة الأكيدة للشعب أو الأمة".⁽⁴⁾

ويضيف: "من المؤسف أن بعض "الجهلة والعامة" سلقوا العلماء بأسنة حداد بسبب ما أفتوا به بالقبول أو الرفض للصلح مع "إسرائيل"، فما دام العلماء أدخلوا الفتوى في هذا الأمر، ولم يتركوه لاجتهاد الحاكم، فليس لنا إلا أن نحترم ما قالوه، وعلينا أن ندرك جيداً أن أقوالهم أثبتت أن الصلح

(1) بابه، آيلان، محرر، رؤية الحركة الإسلامية في إسرائيل للسلام في المنطقة، دار "جفعات حبيبه"، تل أبيب، 1993، ص16.

(2) الحركة الإسلامية في إسرائيل، مرجع سابق، ص37.

(3) عبد الله، إبراهيم، الحركة الإسلامية في فلسطين 48: نظرة من الداخل، دراسة غير منشورة بدون تاريخ ولا دار نشر، ص22.

(4) طال، نعمان، الحركة الإسلامية في إسرائيل، جامعة تل أبيب، مركز بافا للدراسات الإستراتيجية، 2000، ص9.

د. عدنان أبو عامر

مع اليهود مسألة خلافية، وما دامت كذلك فإن لولي الأمر فسحة في هذا المجال يتصرف بما يضمن مصلحة الأمة".⁽¹⁾

وبعد استعراضه لفتاوى عدد من كبار العلماء أمثال الشيخ عبد العزيز بن باز، وصالح الفوزان، والشيخ سلمان العودة، والشيخ يوسف القرضاوي، يخرج درويش بإمكانية القبول بالصلح مع اليهود إذا حصل الفلسطينيون على حقوقهم بقوله: "بعد هذه الأقوال التي نقلناها عن كبار العلماء، نلاحظ أنهم عادوا واتفقوا على قضية الصلح إذا أقيمت دولة فلسطين، وعاصمتها القدس، مع الحل العادل لقضية اللاجئين وحرير الأسرى والمعتقلين، كما تشير أفلهم إلى أن لولي الأمر اتخاذ قرار الصلح؛ أي أن هذه القضية يتولاها السياسيون وليس الفقهاء؛ لأنها في غالبيتها سياسية تنظر في مصلحة الأمة، وتجتهد لهذه المصلحة بما يحققها، أو على الأقل لا يفوت الحد المطلوب والمقبول من هذه المصلحة".⁽²⁾

في المقابل، فإن الجناح الآخر في الحركة بعد الانشقاق لم يطرح القضية في أدبياته، واقتصر موقفه من خلال التجليات السياسية لها، وبقي موقفه "سلبياً" منها، حيث رأى الشيخ رائد صلاح بـ"عدمية" التفاوض لعدم الاحترام الإسرائيلي لما يتم الاتفاق عليه، ويقول: "أي إنسان يظن أن المؤسسة الإسرائيلية قد تحترم وثيقة مكتوبة فهو واهم، ويضحك على نفسه ويخدعها، المؤسسة الاحتفالية" الإسرائيلية هي التي استدرجت الطرف الفلسطيني إلى اتفاقية "أوسلو"، أين ذهب "أوسلو" الآن على سواتها وعبوبها ومرارتها بعد أن بدأ الشعب الفلسطيني يترحم عليها، وذهبت كل أوراقها، وانتهى كل شيء".⁽³⁾

ويواصل: "بعد "أوسلو" جاء اتفاق "واي ريفر"، الذي وقف في أحد أطرافه "بنيامين نتنياهو"، أين ذهب هذا الاتفاق؟ أيضاً انتهى، ولم يعد له وجود، ثم دخلنا في مصطلحات مختلفة، مرة اتفاقية القاهرة، وأخرى خطة خارطة الطريق، ومرة ثلاثة المفاوضات الثنائية، ثم وعود "جورج بوش" الابن التي قطعها على نفسه بإقامة دولة فلسطينية، وثبت أن كل هذا الحديث من باب الدجل والكذب وخداع الشعب الفلسطيني، والضحك على آلامه".⁽⁴⁾

وقد اتخذ الشيخ صلاح موقفاً سلبياً من المفاوضات، بقوله: "هناك إجماع بين الأحزاب الإسرائيلية بدون استثناء على رفض عودة اللاجئين، والحيلولة دون قيام دولة فلسطينية ذات سيادة كاملة،

(1) المرجع السابق.

(2) بابه، مرجع سابق، ص 23.

(3) صوت الحق والحرية، 1999/11/23.

(4) المرجع السابق.

الحركة الإسلامية في فلسطين الـ48 بين عامي 1971-2004م

وعدم انسحاب من المستوطنات في الضفة الغربية وقطاع غزة، وعدم التفاوض على مستقبل القدس، وبناء الهيكل على حساب المسجد الأقصى، ولذلك فإن كل تسوية تقوم على هذه الثوابت الإسرائيلية مرفوضة في نظرنا؛ لأنها ستزيد من ويلات شعبنا الفلسطيني".⁽¹⁾

فيما يرى الشيخ كمال الخطيب أن مفاوضات السلام لم تأت في سياق طبيعي لحل الصراع، بل في سعي فرضها لاستغلال ظروف الوهن والضياع التي يعيشها العالم العربي، ويقول: "جاء استغلال هذه الظروف عبر فرض "مشروع سلام الشرق الأوسط" الذي يهدف لطمس وإنهاء القضية الفلسطينية، وكانت البداية من "مريد مرورا بأوسلو وكامب ديفيد" وغيرها من المؤتمرات واللقاءات، ما يعني أن المفاوضات هي طريق الضياع، وأن مشروع المقاومة منذ اندلاع الانتفاضة الأولى هو طريق الخلاص".⁽²⁾

ويعد استعراض هذه التصريحات التي تعبر عن مواقف جناحي الحركة، بدا واضحاً نقاط الاتفاق والالتقاء بينهما، حول المفاوضات الجارية بين الفلسطينيين والإسرائيليين:

أ- فقد اختلفا ابتداءً حول الموقف من المفاوضات نفسها، وحين أقر "الجناح الشمالي" بموقف سلبي منها، دون أن يصرح بذلك مباشرة، فإن "الجناح الجنوبي" دعم إجراءاتها، مع تحفظه على ما يدور فيها، واعتبار المفاوضات الحالية، محاولة إسرائيلية للتسويق وكسب الوقت، محملاً الجانب الإسرائيلي، ومن خلفها القوى الإقليمية والدولية المسؤولة عن فشلها.

ب- في حين اتفقا على أن "إسرائيل" تفرض اشتراطاتها على الطرف الفلسطيني، مما دفع بـ"الجناح الشمالي" لأن يرى فيها سبباً للإعلان عن عدم جدواها، ولا بد من انتهاج سياسة أخرى تجبر الإسرائيليين على إعطاء الفلسطينيين حقوقهم في إقامة الدولة وعودة اللاجئين، في حين ينظر "الجناح الجنوبي" نظرة واقعية للقيادة الفلسطينية بانتهاجها خطأ سياسياً يقطع الطريق على الحجج الإسرائيلية بعدم وجود شريك لها في المفاوضات.⁽³⁾

ت- كما يخلص الطرفان إلى أن المفاوضات لم تحقق للفلسطينيين الهدف الذي انطلقت من أجله، وكل ما أسفرت عنه هو حكم ذاتي ناقص، مما استدعى حسب موقف "الجناح الجنوبي" تغيير

(1) عيسى، نضال، الأحزاب السياسية داخل 1948 الاهتمامات والعوائق، رسالة ماجستير، جامعة القدس، 2008، ص62.

(2) المفاوضات الفلسطيني والإسرائيلي في الميزان، نشرة صادرة عن مركز الدراسات المعاصرة، 2008/2/22.

(3) توسعت صحيفة دافار بتاريخ 1988/12/18 في إيراد التصريحات المتناقضة بين قيادات الحركة الإسلامية بشأن الإعلان عن قيام الدولة الفلسطينية في الجزائر.

د. عدنان أبو عامر

أسس التفاوض الحالية، وتحرك المجتمع الدولي للضغط على "إسرائيل"، في حين لا يرى "الجناح الشمالي" جدوى من الاستمرار فيها، وأن المشروع السياسي وصل إلى نهايته. وقد لخص المستشرق الإسرائيلي "لائيف أورغاد" موقف الحركة الإسلامية من عملية التسوية بقوله: "حتى لو كانت الدول العربية صادقة وجدية في طموحها لإنهاء النزاع العربي الإسرائيلي، فإن مواقف وجهود الحركة الإسلامية تجعل الأمر بالغ الصعوبة؛ لأنها تفرض على الرأي العام العربي أجندة "بالغة الخطورة"، مع تركيزها على حملات تهويد الأقصى".⁽¹⁾

2- **انتفاضة الأقصى**: تمثل موقف الحركة الإسلامية من الانتفاضة التي اندلعت أواخر العام 2000 بالفعاليات التالية:

- أ- الدعوة إلى مظاهرات للتضامن مع فلسطينيي الضفة والقطاع؛ مما تسبب بإحراج السلطات الإسرائيلية أمام الرأي العام العالمي.
 - ب- دعم أسر الشهداء والجرحى، وكفالة أبناء من ينفذون عمليات فدائية داخل "إسرائيل"، من خلال مؤسسة "لجنة الإغاثة الإنسانية".
 - ت- إغاثة الفلسطينيين، لاسيما بعد أحداث مجزرة "مخيم جنين"⁽²⁾، وإقامة مخيمات عاجلة لأهله وسكان المناطق المجاورة، واستعدادها لإعادة إعمارها بالكامل.
 - 3- **مكافحة "الأسرلة"**: سعت السلطات الإسرائيلية لتدمير "الفضاء المدني" لفلسطيني الـ48، فاستهدفت الثقافة والفكر والاقتصاد، وعمدت لتهويد الحيز المكاني والسكاني، بعد أن دمرت القرى والبيوت، وطردت السكان، وطمست المعالم، مما أدى لخلق فراغ كبير، لأن النكبة خلفت انتكاسة كلية للفلسطينيين، وتجمعت نتائج مدمرة على مستوى الشعب.
- وخلال فترة الحكم العسكري، شهد العرب "حالة انقطاع" مع جسدهم العربي الإسلامي، ولم تنشأ أي مؤسسة أو جماعة إسلامية، مقابل تضخيم دور الحمولة والمختار، وتغلغل دور الأجهزة الأمنية، كما لعبت السياسة الإسرائيلية دوراً في "تأقلم" العرب للواقع الجديد بعد غياب القيادة والموجهين، في مسعى محموم لتذويب هذه الأقلية، وتدمير بُناها النفسية والعقلية.

(1) أورغاد، لائيف، خطر الحركة الإسلامية، معاريف، 2007/4/4.

(2) اسم يطلق على عملية التوغل والاحتياح التي قام بها الجيش الإسرائيلي في جنين بين يومي 1-12/4/2002، وشهدت وقوع معركة شديدة، مما اضطر الجيش الإسرائيلي إلى القتال بين المنازل، وارتكاب أعمال القتل العشوائي، واستخدام الدروع البشرية، والاستخدام غير المتناسب للقوة، وعمليات الاعتقال التعسفي والتعذيب، ومنع العلاج الطبي والمساعدة الطبية، مما أسفر عن سقوط عشرات المدنيين الفلسطينيين.

الحركة الإسلامية في فلسطين الـ48 بين عامي 1971-2004م

ويجزم "موشيه شاحال" وزير الأمن الداخلي السابق أن أحد أهم مظاهر فشل "الأسرلة" يتمثل ب بروز الحركة الإسلامية، الذي شكل انطلاقتها واتساعها، وتمثيلها لقطاعات كبيرة جداً من فلسطينيي الـ48 دليلاً قوياً على فشل "الأسرلة" مقابل تعزيز "الأسلمة".⁽¹⁾ ولجأت الحركة لمواجهة سياسة "الأسرلة" من خلال الجهود التالية:

أ- رفض الخدمة العسكرية: نشطت الحركة في تحريض البدو على عدم الخدمة في جيش الاحتلال الإسرائيلي، بإقامة ندوات ونشاطات متنوعة للتوعية بخطورة التجنيد فيه؛ ما نتج عنه ازدياد ما سمي بـ"قوافل الرافضين والتائبين"؛ وانخفاض ملحوظ في نسبة المنضمين للجيش، وصدرت إحصائيات رسمية تفيد بذلك، محذرة من خطورتها، خاصة أنهم يؤدون دوراً مهماً في حماية المستوطنات، والتفتيش على المعابر، ووحدات حرس الحدود.⁽²⁾

يأتي ذلك بعد أن تمكنت السلطات الإسرائيلية من إقناع الكثيرين منهم بالخدمة العسكرية، وتطوعوا كـ"قصاصي أثر"، ولعبوا دوراً كبيراً في تعقب آثار المقاومين الذين يتسللون إلى "إسرائيل" لتنفيذ العمليات الفدائية، ثم انتقلهم للخدمة في الوحدات القتالية التي تقوم بالدور الأكبر في قمع إخوانهم الفلسطينيين في الضفة الغربية وقطاع غزة.

وبعد أن كان معدل البدو المتجندين للخدمة العسكرية 3600 شاباً سنوياً مطلع الثمانينيات من القرن الماضي، انخفض ليصل 390 شاباً عام 2004، بفعل جهود الحركة، واتهمتها شعبة القوى البشرية في الجيش الإسرائيلي بالوقوف وراء تحريض التجمعات السكانية البدوية لحث الشباب على عدم الخدمة العسكرية.⁽³⁾

وهو ما دفع بوزير الدفاع الأسبق "موشيه أرنس" لأن "يقر أن سياسة التمييز التي تمارسها السلطات ضد فلسطينيي الـ48 مهدت لتأثير الحركة عليهم، نتيجة المراقبة والإحباط، وهي تستغل الأرضية الخصبة لإيجاد طريقها نحو هذا الوسط الذي ابتعد سنوات طويلة عن وصفهم بـ"المتطرفين الإسلاميين"، وبعد أن كان البدو رصيماً بشرياً للجيش الإسرائيلي، باتوا جزءاً من النواة الصلبة للحركة".⁽⁴⁾

(1) بويميل، يائير، الحكم العسكري الإسرائيلي وعملية إلغاءه، رسالة دكتوراه، جامعة حيفا، 2006، ص143.

(2) يهوشوع، يوسي، انخفاض عدد البدو في الجيش الإسرائيلي، يديعوت أحرونوت، 2003/4/4.

(3) المرجع السابق.

(4) أرنس، موشيه، الحركة الإسلامية والبدو، هآرتس، 2002/10/29.

د. عدنان أبو عامر

ب- "أسلمة" الداخل: أفاد استطلاع للرأي نُشر منتصف عام 2002، أعده معهد "داحاف" الإسرائيلي أن 44% من عرب فلسطين المحتلة عادوا إلى حظيرة الالتزام الديني خلال الأعوام الأخيرة، بسبب تعاضم قوة الحركة الإسلامية.⁽¹⁾

وأكد تقرير أعده كبار المسؤولين في جهاز الأمن العام "الشاباك"، أن الحركة ماضية في بسط سيطرتها على المساجد، وتستغل نفوذها القوي للتحريض ضد "إسرائيل".

وترى السلطات الإسرائيلية أن ما يفاقم خطورة التحريض الصادر عن قادة الحركة وكوادرها هو سيطرتها على معظم المساجد التي يؤمها فلسطينيو الـ48، خاصة وأن عدد المساجد التي يديرها نشطاؤها يفوق عدد المساجد التي تمولها وزارة الأديان الإسرائيلية.

وفي ذات الوقت، يتلقى 41% من الأئمة روايتهم من الحركة، وخلال الـ15 سنة الأخيرة تضاعف عدد المساجد في "إسرائيل" أكثر من 4 أضعاف، من 80 مسجداً عام 1988 إلى 363 مسجداً عام 2003، ويعزى هذا الارتفاع الحاد إلى ظهور الحركة الإسلامية.⁽²⁾

كما أدخل الشيخ صلاح إلى مفردات الخطاب السياسي العربي مصطلح "الاضطهاد الديني" كمراقف لمصطلح "التمييز القومي"، نتيجة للممارسة السياسية الإسرائيلية ضد المقدسات، وتقييد الحريات الدينية، والتحقيقات حول العقيدة الشخصية وغيرها.

وزعم "آفي ديختر" وزير الأمن الداخلي والرئيس السابق لجهاز "الشاباك" أن النظام التعليمي الذي تدبره الحركة الإسلامية يعمل على غرس الميول الانفصالية لدى الشبيبة الفلسطينية، من خلال تصوير الدولة كعدو.⁽³⁾

فيما يرى "عاموس جلبوع" الرئيس السابق لقسم الأبحاث في شعبة الاستخبارات العسكرية أن حرص الحركة على "أسلمة" المجتمع الفلسطيني يؤدي بشكل تلقائي إلى تكريس عوامل الانفصال لدى فلسطينيي الـ48، على اعتبار أن تشرّبهم قيم الإسلام يقود حتماً إلى موقف عدائي من الدولة، وبالتالي يولد رغبة جامحة للانفصال عنها.⁽⁴⁾

وتقر النخب الحاكمة في تل أبيب أن الحركة لعبت دوراً كبيراً وحاسماً في إفشال المحاولات المتتالية لـ"أسرلة" الوعي الجمعي لفلسطينيي الـ48، و"صهينة" أجندتهم السياسية والاجتماعية، بعد

(1) أبو عامر، عدنان، الاستهداف الإسرائيلي للحركة الإسلامية في فلسطين الـ48، مجلة البيان، لندن، تموز 2007، ص54.

(2) ايتينبيرغ، يائير، يسيطرون على المساجد، هآرتس، 2004/4/12.

(3) ديختر، آفي، ما العمل مع الحركة الإسلامية؟ يدعوت أحرونوت، 2004/12/2.

(4) جلبوع، عاموس، مستقبل العلاقة بين إسرائيل ومواطنيها العرب، جامعة تل أبيب، يوم دراسي، 2005/2/20.

الحركة الإسلامية في فلسطين الـ48 بين عامي 1971-2004م

أن استخدمت ما يعرف بـ"القوة الناعمة" في تدجينهم، ودفعهم نحو الانصهار في الدولة، والقضاء على المركبات الإسلامية والعربية والفلسطينية التي تشكل هويتهم الوطنية.

4- التحول العسكري:

تمثل التحول المفاجئ في مسيرة الحركة الإسلامية في إلقاء السلطات الإسرائيلية القبض على الشيخ درويش عام 1981، والحكم عليه بالسجن، ثم أفرج عنه عام 1984، لصلته بتنظيم سري إسلامي أطلق عليه "أسرة الجهاد"، واتهام أعضائه بحيازة أسلحة ومتفجرات، وإشعال النيران في ممتلكات يهودية، والتخطيط لسلسلة من العمليات العسكرية ضد أهداف إسرائيلية، وحكم على زعيمها "فريد أبو مخ" بالسجن 10 أعوام، وأطلق سراحه مع آخرين في إطار صفقة الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين - القيادة العامة عام 1985، التي أسفرت عن إطلاق سراح 1150 أسير فلسطيني مقابل استعادة 3 جنود إسرائيليين.

وقد تأسست "أسرة الجهاد" عام 1979 من مجموعة من الشبان من تيار سمي "الثائبين" من مدينة باقة الغربية، دعوا لتحرير فلسطين بالجهاد المسلح، بما فيه الحرب الاقتصادية، واعتقلت السلطات أعضائها في يناير كانون ثاني عام 1980.⁽¹⁾

ويرى الباحث د. "إيلي ريخيس" أستاذ الدراسات الشرقية في جامعة تل أبيب أن نجاح الأجهزة الأمنية الإسرائيلية في القضاء على "أسرة الجهاد" دفع قادة الحركة الإسلامية "الوليدة" إلى توخي أقصى درجات الحذر، حين شرعوا بممارسة أنشطتهم الاجتماعية والدينية والثقافية، خشية من تفسير الأمن الإسرائيلي لسلوكهم على نحو يبرر ضربهم.⁽²⁾

ولعل ذلك ما دفعها لتجنب إبراز انشغالها في العمل السياسي، فلم تول في هذه الفترة اهتماماً خاصاً بإحياء المناسبات الوطنية الكبيرة مثل ذكرى النكبة ويوم الأرض، وحصرت نشاطها في العمل الاجتماعي والثقافي والدعوي.

وفي فترة لاحقة، بدا من الطبيعي أن تدرس الحركة المستجدات، وتتبنى مبدأ العمل في ظل القانون، وتعود لما بدأت به من إقامة القاعدة الأساسية، فكتفت في الثمانينات والتسعينات إنشاء المؤسسات الدينية التي تقدم خدمات حيوية لفلسطينيي الـ48؛ مما زاد من شعبيتها داخل صفوفهم، بعيداً عن دخول مواجهة غير محسوبة مع السلطات الإسرائيلية.⁽³⁾

(1) لطفي، مرجع سابق، ص46.

(2) جلبوع، مرجع سابق.

(3) مالك، إبراهيم، الحركة الإسلامية في إسرائيل بين الأصولية والعقلانية، "جفعات حبيبه"، معهد الدراسات العربية، 1990، ص54.

د. عدنان أبو عامر

ويزعم تقرير لجهاز "الشاباك" أن معظم فلسطينيي الـ48 الذين ثبت تورطهم بالمشاركة في تنفيذ عمليات فدائية، أو أدينوا بتقديم مساعدات لمنفذيها الوافدين من الضفة الغربية وقطاع غزة هم من أنصار الحركة، وشملت العمليات التي تورطوا فيها:

- مهاجمة قاعدة "غلعاد" العسكرية عام 1992، وقتل أربعة من الجنود،

- طعن متزهين يهود حتى الموت في مستوطنة "مجدو" شمال فلسطين عام 1999،

- تنفيذ عملية استشهادية نفذها أحد أنصار الحركة في مدينة نتانيا عام 2003.

وعلى الرغم من قناعة السلطات الإسرائيلية بانتماء الكثير منهم للحركة، إلا أنها فشلت في تقديم أي دليل على علاقتها بالعمليات، وتدعي أن هناك مستوى كبيراً من التنسيق والتكامل وتبادل الأدوار بين الحركة الإسلامية في "إسرائيل" وحركة حماس في الضفة والقطاع.

مقابل ذلك، صاغت الحركة مشروعاً حضارياً متكاملًا خاضت على قاعدته "ملحمة مدنية"، لا نقل كفاءة وأهمية عن "الملحمة العسكرية" التي تخوضها الحركات الإسلامية الأخرى، التي تتهم بالتنسيق معها، وتمثلت بالعناصر التالية:

أ- **تأمين بقاء الشعب الفلسطيني في أرضه:** وتثبيت وجوده فيها، والحفاظ والمساعدة على تزايد نموه؛ لأن السلطات الإسرائيلية تعمل جاهدة منذ النكبة وفق مخطط محكم لإنهاء هذا الوضع بالسعي "لأسرلة" الفلسطينيين، وتمزيقهم، وتمارس عمليات طرد جماعي عليهم خارج الأرض إلى الشتات، وتضيّق عليهم سبل الحياة بالضرائب الباهظة وغلاء الأسعار.

ولتأمين البقاء في الأرض وتثبيت الوجود، قامت الحركة بقيادة الشيخ صلاح بتأمين الحياة المعيشية، وتحسينها، وقاية للناس من حملات التجويع والحصار المفروض عليهم، عبر مسلسل لا يتوقف من زيادة الضرائب والغرامات الباهظة على المخالفات القانونية، ورفع المتعمد للأسعار، وشحّ المواد التموينية، حتى يضجّ الناس، ويبحثوا عن مكان آخر، أو يبقوا ويخضعوا للعدو، ويندمجوا معه.⁽¹⁾

ب- **الحفاظ على الهوية الإسلامية من خلال:** إحياء الروح الإسلامية والالتزام الإسلامي عبر قوافل الدعاة الذين جابوا الأرض، ويربطونهم بدينهم، تربية وعملاً ومعاملات، وانطلاق حركة واسعة من العمران الإسلامي استهدفت ترميم المساجد والمؤسسات الإسلامية التي تحولت إلى متاحف وإسطبلات وبارات للخمر، وأوشكت على السقوط، مما أعاد للأرض والعمران سمتهما الإسلامي الحقيقي، ومثلّ شهادة ناطقة بأن هنا مسلمين، وإقامة سلسلة من المؤسسات الاجتماعية،

(1) أبو عامر، مرجع سابق، ص55.

الحركة الإسلامية في فلسطين الـ48 بين عامي 1971-2004م

كلجان الزكاة، والمستشفيات، ودور تحفيظ القرآن الكريم، والأندية الاجتماعية والرياضية، التي قامت بدور محوري في التكافل والترابط الاجتماعي، أسهم بشكل كبير في تقوية النسيج الاجتماعي، ومثانة لُحمته في وجه مشروع التذويب الإسرائيلي.

ثالثاً: رعاية الأوقاف والأقصى

اتخذت الحركة الإسلامية مساراً اتسم بممارسة الأساليب الدعوية والاجتماعية، وتجنب "العمل المسلح" ضد "إسرائيل"، مقابل نجاح توجهها الاجتماعي، حيث أسست الجمعيات الخيرية، وأقامت عشرات المخيمات الشبابية الصيفية، وأصلحت ورممت المساجد، وافتتحت عدداً من المعاهد والمستشفيات والمدارس، ونظمت المظاهرات والاعتصامات المواكبة لأحداث الضفة الغربية وقطاع غزة، خاصة الانتفاضة الأولى عام 1987.

وركزت الحركة نشاطها للنهوض بأوضاع فلسطينيي الـ48، ورعاية شؤونهم؛ والقيام بـ: شق الشوارع والطرق، إقامة محطات الوقوف والمواصلات العامة، ترميم المدارس، تنظيف المقابر، بناء الصفوف الدراسية، إقامة رياض أطفال ودور للمسنين، ومكتبات عامة. كل ذلك أدى إلى استقطاب مطرد ومتسارع، وثقة عالية بأطروحات الحركة، التي حاربت بقوة المفاصل الأخلاقية المنتشرة بين الشباب، ووقفت بصلافة ضد مظاهر "الأسرلة"، ونجحت في المقابل بتقوية الشعور الديني والوطني.

كما زاوجت الحركة بين همومها الخاصة، بما تملكه من هوية ذاتية لها، مبنية على قيمها العقائدية والتعبدية وثوابتها، وعلى المستوى الداخلي، وقف المشروع التربوي على رأس مشاريعها النهضوية، التي شكلت "قنطرة" طبيعية لمجتمع يتوجه نحو بناء الذات. وقد تعددت المجالات الدعوية التي اختطتها الحركة الإسلامية في الأنشطة التالية:

1- حماية المسجد الأقصى

تعتقد الحركة الإسلامية أن المسجد الأقصى جزء من عقيدة المسلمين، فهو آية في كتاب الله لقوله: "سبحان الذي أسرى بعبده ليلاً من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى الذي باركنا حوله، لنريه من آياتنا إنه هو السميع العليم"، وهو المساحة الواقعة بين الأسوار⁽¹⁾. وشهدت المعسكرات التربوية التي نظمتها الحركة منذ فترة مبكرة من تاريخ عملها ارتباطاً بالمسجد الأقصى، حيث تقاطر الطلاب عليه مصليين ومرابطين، وارتفعت أهميته في وجدانها، مع ارتفاع منسوب العمل السياسي لديها، وشرعت تهتم به مع الأوقاف والمقدسات.

(1) ورقة تعريفية بالحركة، 2003، ص13.

د. عدنان أبو عامر

وشكلت مجزرة الأقصى عام 1990، التي أدت إلى استشهاد 22 مصلياً، وجرح 200 آخرين، واعتقال 270 من داخل وخارج المسجد، نقطة فاصلة في علاقة الحركة بالأقصى، فقد نظمت مهرجاناً احتجاجياً في مدينة طمرة.

وأصدرت بياناً جاء فيه: "سجلت يد الظلم والاضطهاد في ساحات الأقصى الشريف في ساعات ما قبل الظهر من يوم الاثنين الموافق 1990/10/8 مجزرة رهيبة بحق شعبنا البطل الصامد في أرض الرباط، وقامت ثلة من المهووسين الحاقدين أعداء الإنسانية باقتحام الحرم المقدسي حاملين على أعناقهم مجسم الهيكل، مما دفع بالمصلين المتواجدين في باحات الأقصى لصد هذه الزمرة البربرية، ومنعها من دخول الحرم، وقام جنود الاحتلال العاشم بالتدخل، وإطلاق النار على المصلين، فاستشهد العشرات، وأصيب المئات".⁽¹⁾

وأعلنت الحركة الحداد على شهداء المجزرة، فأوقفت الأعراس الإسلامية حتى يوم الأربعاء 1990/10/17، لتقتصر على الوليمة فقط، وألغت مباريات الدوري الإسلامي ليوم الجمعة، ودعت للتجاوب مع لجان الإغاثة لدعم صمود أهالي الشهداء.

كما اعتمدت عدة وسائل وآليات لتثبيت قضية الأقصى في الذهن لدى عرب الـ48، بعد أن اعتبرت حمايته توجهاً مركزياً في أنشطتها السياسية والدينية، وقامت بجملة من الفعاليات الدعوية والتحركات الجماهيرية، مما أبرز الجهد المميز لربط الأقصى بهم، دون الاقتصار على العمل الإعلامي فحسب، بل قامت ببرنامج عملي تمثل في الفعاليات التالية:

أ- الترميم والإعمار: بين أعوام 1996-1999 تعاونت الحركة مع الهيئات الإسلامية المسؤولة في المسجد الأقصى لترميمه، لتأكيد هويته الإسلامية، وحالت دون تنفيذ السياسات الإسرائيلية الرامية لتهويده، على غرار ما حدث في المسجد الإبراهيمي في الخليل.

كما قامت بإعمار المسجد الأقصى القديم، وبدأت حملة ترميماته الجذرية منذ مطلع 1998، وتم الانتهاء منه أواخر عام 1999، وافتتاحه للصلاة في شهر رمضان 1999، وأصبح الجزء الأمامي منه المعروف باسم "المدرسة الخنثية" داراً للقرآن الكريم.⁽²⁾

إلى جانب عمارة وتشيد "المصلى المرواني" عام 1996، بمشاركة آلاف المتطوعين، وتم تهيئة أرضيته، وتبليطها بالرخام اللاتق، وإنارته بالكهرباء، وبذلك قطعت الطريق على أطماع الإسرائيليين للاستيلاء عليه.

(1) بيان الحركة الإسلامية، 1990/10/9.

(2) التقرير السنوي لمؤسسة الأقصى لعام 2000، ص 26-47.

الحركة الإسلامية في فلسطين الـ48 بين عامي 1971-2004م

ب- **المهرجانات السنوية:** كمهرجان "صندوق طفل الأقصى"، ومهرجان "القدس أولاً" في بلدة "كفر كنا" عام 1994، والمهرجان الثاني في بلدة "كفر قاسم" في العام التالي، ومنذ عام 1996 تعقد الحركة مهرجانها السنوي "الأقصى في خطر"، وتتبع أهميته كون حضوره بات عالمياً، وتأثيره كبير في نقل الاهتمام بقضية الأقصى من الداخل إلى المستوى العالمي، بفعل تغطية عشرات القنوات الفضائية العربية والأجنبية.

ت- **مسيرة البيارق:** وهو مشروع شد الرحال إلى المسجد الأقصى، حيث تسير إليه عشرات الحافلات من جميع القرى في الداخل الفلسطيني، ليصل عددهم 30 ألف مصلي، لتأدية الصلوات فيه، بهدف إحياء الدور الريادي للأقصى عبر تكثيف وجود المرابطين فيه، وترشيد وجود المسلمين فيه، وجلبهم إليه، وإعادة جيل الشباب إلى درب الهداية من خلال الدروس اليومية فيه، وإحياء سنة الاعتكاف فيه، وزيادة عدد المصلين.⁽¹⁾

ولم تقتصر أهداف المسيرة على الجوانب الدينية، بل لإحياء السوق التجارية في البلدة القديمة بعد تعطيلها، بسبب الحصار الخانق وسياسات التضييق على سكان الضفة الغربية وقطاع غزة، ومنعهم من الوصول للأقصى، وحتى لا يتنازل أصحاب المحلات التجارية عن أملاكهم، ومن ثم تفريغ محيط الأقصى، وهو الهدف الذي تسعى إليه المؤسسة الإسرائيلية.

ث- **ملاحقة الحفريات الإسرائيلية:** مما أدى للكشف عن الأنفاق الأثرية الخطيرة التي تقوم بها "إسرائيل" في غفلة من الفلسطينيين، وفتح بواباته العملاقة، وإعمار الأقصى القديم، وتنظيف ساحاته وإضاءتها، وإقامة وحدات الوضوء في باب "حطة والأسباط وفيصل والمجلس"، وإحياء دروس المصاطب التاريخية، وأبرزها "درس الثلاثاء" الذي يحضره 5 آلاف مصلي أسبوعياً في المسجد الأقصى.

ج- **الإصدارات الثقافية:** خاصة النشرات الدورية لتوعية العالم الإسلامي بالمخاطر المحدقة بالأقصى، وتوعية الأجيال بضرورة التمسك به، وإصدار مسابقة عالمية حول الأقصى والقدس، توزع في أنحاء العالم الإسلامي، بمشاركة ما يزيد عن 120 ألفاً.

كما أنتجت الحركةشرطة فيديو بعنوان "الصباح المقدس" حول حفريات الأقصى، و"دليل أولى القبلتين" الذي يتحدث عن معالم الأقصى، وشريط "المرابطون" الذي يتحدث عن مسيرة العمل في الأقصى والترميمات، وكشف الأباطيل اليهودية، وإصدار صورة جوية للمسجد الأقصى، وسلسلة أفلام وثائقية بعنوان "مقدسات بيت المقدس".

(1) عيسى، مرجع سابق، ص46.

د. عدنان أبو عامر

وتم إنشاء موقع على شبكة الإنترنت لإطلاع العالم الإسلامي على الانتهاكات الإسرائيلية المتواصلة بحق المقدسات، وما يحصل في المسجد الأقصى، والحفريات المتواصلة تحته منذ زمن الاحتلال عام 1967، ويحتوي على صور ووثائق تبين أعمال الإعمار الجارية داخله، وأخبار وتقارير يومية تبين الفعاليات والنشاطات.

وإصدار كتب "القدس وسبل إنقاذها من التهويد"، و"دليل أولى القبلتين وثاني المسجدين وثالث الحرمين"، وعشرات النشرات التعريفية والثقافية والإعلامية، تتضمن شروحات عن الأقصى والقدس، ومجلة "صوت الأقصى" للأطفال المشاركين في "صندوق طفل الأقصى"، وزاوية ثابتة في صحيفة "صوت الحق" تتضمن معلومات ثقافية وعلمية وإعلامية وإخبارية حول الأقصى.⁽¹⁾ واعتبرت المؤسسة الأمنية الإسرائيلية أن حمل الحركة لراية الدفاع عن المقدسات، وإشرافها على حملة "الأقصى في خطر"، أهدأ أخطر مصادر التحريض على "الإرهاب"، حيث زعم "شؤون موفاز" رئيس هيئة أركان الجيش الإسرائيلي ووزير الدفاع الأسبق أن اتهامات الشيخ صلاح لـ"إسرائيل" بالتخطيط لتدمير الأقصى تحريضاً على المس بأمنها.⁽²⁾

2- الاهتمام بالأوقاف

اهتمت الحركة بصورة كبيرة بقضية المقدسات الإسلامية من مساجد ومقابر ومقامات؛ نظراً لتعمد الإسرائيليين الاعتداء عليها، وتحويلها لأغراض أخرى بعد رحيل أهلها عنها، وجاء تأسيس "مؤسسة الأقصى لرعاية المقدسات الإسلامية"، للمساهمة بشكل فاعل في الدفاع عن المساجد في فلسطين، ونجحت في إظهار محاولات الاحتلال المتكررة ضدها.

وجاء شعار المؤسسة بالحفاظ على الأوقاف والمقدسات، وإعمار الخراب فيها، ليشكل المنهج العلمي للحفاظ على الجذور، وطبقته قولاً وعملاً وإعلاماً وشعاراً وسلوكاً وتربية وأدباً وهوية، وبادرت بالسعي الدائب لتحريرها.

ومنذ يومها الأول، وجدت أن نكبة فلسطين عام 1948 أوغرت في نفوس القوات الإسرائيلية "نشوة الشراهة" إلى حد هدم 1200 مسجداً على امتداد مدن الجليل والمثلث والنقب والساحل، وقامت بتدمير ونهب المقابر فيها، واستخراج عظام الموتى، ومصادرة الأوقاف التي ساوت

(1) التقرير السنوي لمؤسسة الأقصى لعام 2003، ص 67.

(2) طال، مرجع سابق، ص 14.

الحركة الإسلامية في فلسطين الـ48 بين عامي 1971-2004م

16/1 من مساحة فلسطين التاريخية، واستباححت حرمة المساجد، وحولت عدداً منها إلى خمرات ومتاحف وحظائر لتربية الأبقار.⁽¹⁾

وبدأت المؤسسة بالعمل في مشاريع الإعمار والصيانة منذ عام 1991، وتمثلت في:

أ- معسكرات العمل الوقفية في المدن الساحلية، وبعض القرى المهجرة، وتقوم بترميم ما يمكن ترميمه، وتسييج المقابر المنتهكة، ومتابعة الانتهاك قانونياً.

ب- تحول العمل العفوي القائم على ردود الأفعال إلى عمل منضبط مؤسسي قائم على الخطط والبرامج والمشاريع، حتى تحولت إلى مشروع رائد يشكل الرد العملي المنهجي العلمي على سياسة الانتهاك والتهميش المبرمج.

وجاءت باكورة عملها بإعمار مصلى "مجدل صادق" في قضاء الرملة، ومصلى "معاذ بن جبل" في قرية "عمواس" المهجرة، ومصلى "الشيخ شحادة" في قرية "عين غزال" قضاء حيفا، ومصلى "الشيخ خلف" في قرية "عرعره" قضاء المثلث، ومصلى "الشيخ إبريق" في قرية "عتليت" قضاء حيفا، وإعمار المسجد الكبير ومسجد النور ومصلى سعد وسعيد ومسجد السوق ومسجد المقداد ومسجد الزاوية في مدينة اللد، ومسجد البحر ودار مسجد حسن بيك الخارجي في مدينة يافا، ومسجدي الرمل والزيتونة في عكا.⁽²⁾

ولا تزال جهودها متواصلة في صيانة ما تبقى من مقابر تاريخية إسلامية، كمقبرتي "دير ياسين وعمواس" في القدس، ومقبرتي "اليازور وطاسو" في يافا، ومقبرتي "الرملة والمزيرعة" في الرملة، ومقبرة "سعد وسعيد" في اللد، ومقابر "القسام وعين حوض وطيرة الكرمل"، ومقبرتي "أم الزينات والشهداء" في حيفا، ومقبرتي "النبي صالح والمنشية"، والمقبرة الشرقية في عكا، ومقبرتي "سعسع والقديرات" في صفد.⁽³⁾

ج- منتصف عام 2001، انطلق مشروع إقامة صلوات الجمعة في المساجد المهجرة، وهي: "الغابسية" قضاء عكا، "صرفند" قضاء حيفا، "النبي روبين" قضاء الرملة، "الشيخ سمعان" قضاء قلقيلية، "حطين" قضاء طبريا، "يوشع" قضاء صفد.⁽⁴⁾

ونجحت المؤسسة في إيقاف الكثير من الاعتداءات الإسرائيلية المتمثلة بجرف المقابر في القرى المهجرة، وتسترد العديد من المقابر لترعاها وتحفظها، وإنقاذ العشرات منها ممن كادت تطمس

(1) التقرير السنوي لمؤسسة الأقصى لعام 2004، ص 24.

(2) صحيفة الصنارة، 2004/12/19.

(3) صحيفة صوت الحق والحريّة، 2003/11/10.

(4) التقرير السنوي لمؤسسة الأقصى لعام 2004، ص 28.

د. عدنان أبو عامر

لإهمالها، وعدم رعايتها، ولذلك نظمت عشرات المعسكرات العملية لصيانة المقدسات في المدن الساحلية: عكا، حيفا، يافا، اللد، الرملة، والقرى المهجرة.

د- مشروع "رش أرض المقابر بمبيد الأعشاب"، لمنع نموها، كي لا تصبح المقدسات فريسة سهلة للجرافات الإسرائيلية، التي تستغل قانون "أراضي البور" لانتهاك حرمة المقابر، ومصادرتها، بحجة عدم الاهتمام بها، كجزء من سياساتها الرامية لطمس الهوية الإسلامية عبر تدمير شامل للمقدسات والأوقاف.

وامتدت علاقة الحركة مع الأوقاف والمقدسات بصورة عملية لتترجم في معسكرات وقفية شملت العديد من المقابر: تنظيفاً وترميمياً وتجميلياً، وبعض المساجد والتكايا.

ومن القضايا التي اعتنت بها "الوقف الشهابي" في الناصرة، حيث نشطت فيها، ووقفت ضد الحكومة الإسرائيلية التي حاولت مصادرتها، وسعت للإيقاع بين المسلمين والمسيحيين.⁽¹⁾

هـ- مشروع "الخارطة المفصلة للمقدسات"، لعمل مسح هندسي مفصل لكل المواقع الإسلامية في القرى المهجرة عام 1948 من قيساريا حتى أقصى شمال فلسطين، يزيد عددها عن 1200 موقعاً تشمل: المساجد، مصليات، مقامات، مقابر، لتحديد، ووضع الخطط المناسبة لصيانتها، ومنع انتهاكها.⁽²⁾

وفور تشكيل الهيئة العليا للسلطات المحلية التي شملت "أم الفحم، كفر قاسم، جلجولية، كفر برّا، رهط"، بدأ الاهتمام بموضوع الأوقاف والمقدسات يأخذ حيزاً واضحاً من جلساتها.

ومنذ تلك اللحظة تتواصل الحركة مع قطاعات المجتمع في الداخل الفلسطيني والضفة والقطاع، وتواصلت مع هيئة الأوقاف والإعمار، والمجلس الإسلامي الأعلى في القدس.

رابعاً: النشاط المؤسسي

1- العمل الأهلي

اجتهدت الحركة الإسلامية في نشر نظريتها وأفكارها عبر جمعيات إسلامية، أقيمت في كل بلدة، وفي فترات متعددة، وجاء الاسم الأكثر انتشاراً لها هو "الروابط الإسلامية"، التي أنشئت في مناطق الطيبة وأم الفحم والناصرة، وتمثلت وظيفتها الأساسية بخدمة الاحتياجات الاجتماعية والدينية للمجتمع المحلي.

(1) صلاح، رائد، التيار الديني والحركة الإسلامية، الندوة الفكرية بعنوان: خبرات الحركة السياسية الفلسطينية في القرن العشرين، المركز القومي للدراسات والتوثيق، غزة، حزيران 2000، ص 187.

(2) مؤسسة الأقصى.. حارسه التراث الإسلامي في فلسطين، إسلام أون لاين:

www.islamonline.net/arabic/famous/2004/07/article03

الحركة الإسلامية في فلسطين الـ48 بين عامي 1971-2004م

واهتمت الحركة بإنشاء البنية التحتية المتمثلة بالمعاهد الدينية والمؤسسات والنوادي والعيادات الطبية ورياض الأطفال، وسرعان ما أصبحت مراكز دعوة للدين، وغرس تعاليمه في نفوس الشبيبة العربية منذ نعومة أظافرهم.

وجرت العادة أن يلتقي مسئولو الجمعيات المختلفة، ويتشاورون حول مشاريع مستقبلية واحتفالات دينية، ويجرون زيارات متبادلة، ويقدمون المساعدة المالية والمادية لبعضها البعض، وتركز جوهر نشاط مؤسسات الحركة على جملة من الأهداف، من أهمها:

- أ. أدت لتأييدها الكبير بين الجمهور،
 - ب. عدم الاحتكاك مع السلطات الإسرائيلية،
 - ج. استقلاليتها وعدم تبعيتها للنظام الإسرائيلي؛ لأنها ارتكزت على تمويل ذاتي،
 - د. رأت فيها وسيلة ناجعة لنشر أفكارها الدينية والسياسية، وقدرتها على تحويل الجمعيات إلى أداة إصلاحية في المجالين الاجتماعي والجماهيري،
 - هـ. نجاح شبابها في إيجاد جو عام من المساعدة المتبادلة في عدة مجالات: سائقو الشاحنات، مهندسو البناء، عمال تبرعوا بالمواد للمتطوعين، حتى النساء اشتركن بالتبرعات من خلال تزويد العمال بالوجبات والشراب.⁽¹⁾
- وإضافة للمساعدات الاقتصادية للمحتاجين، نظمت لجان الزكاة أطراً تربوية، اجتماعية وثقافية، وأعلنت عن إقامة معسكرات عمل، يعمل فيها مئات الشباب بشكل تطوعي في أعمال جماهيرية مختلفة، وشملت: شق شوارع، ترميم مدارس، بناء جدران، إقامة محطات حافلات، إنشاء ملاعب، توسيع رياض أطفال، تشييد مائة مسجد في أقل من عقدين.
- وبالإضافة للمؤسسات الإسلامية التي تخدم الوسط العربي، بنت الحركة مؤسسات تخدم قطاعات معينة داخل المجتمع، كمؤسسة النقب للأرض والإنسان، مؤسسة حيفا "زهرة الكرمل"، مؤسسة عكا وقراها، مؤسسة يافا، مؤسسة اللد والرملة.⁽²⁾
- وبادرت الحركة لتأسيس شبكة من المؤسسات واللجان الخدمائية التي تصب مصلحة أعمالها في الشأن الداخلي الفلسطيني، فكانت لجان الزكاة والإصلاح والمؤسسات الاجتماعية، ومنها: "سند" للأومومة والطفولة، و"رعاية اليتيم"، و"يوسف الصديق".

(1) دليل الجمعيات والمؤسسات الإسلامية، الحركة الإسلامية، اللجنة الإعلامية، 2001، أم الفحم، ص17.
(2) عيد الهادي، مهدي، الإسلام في فلسطين المعاصرة، وقائع مؤتمر دراسي، رام الله، أيلول 2004، ص132.

د. عدنان أبو عامر

كما أسست أكثر من 30 مؤسسة، تناولت كافة جوانب الحياة التي يعيشها فلسطينيو الداخل، فضلاً عن عشرات الجمعيات المحلية، ونظرت إلى ضرورة "التغلغل" بين شرائح المجتمع، كونها ترى نفسها جزءاً أساسياً من البنية المجتمعية لهم، وتنتظر لمكوناته على أنه كل لا يتجزأ، تجمعهم الهموم الوطنية والقومية واليومية التي فرضتها "إسرائيل" عليهم، بسبب سياساتها المعادية لهم كفلسطينيين، وأصحاب حق شرعيين على الأرض.

وزعم جهاز "الشاباك" أن مؤسسات الحركة تسهم في إيجاد بيئة اجتماعية في الضفة والقطاع لدعم المقاومة، بتبنيها برامج كفالة الأيتام وأبناء الشهداء والأسر الفقيرة، معتمدة على التبرعات التي يقدمها الموسرون من فلسطينيي الـ48، ولذلك لم تتردد في إغلاقها، وشنت حملات اعتقال في صفوف قادتها وكوادرها، بزعم أن أنشطتها تعزز "العنف".

ويزعم وزير الأمن الداخلي السابق "أفي ديختر" أن الحركة توظف عملها الخيري لخدمة "الجهاد المسلح" لحركة حماس، وهو "مكمل" للعمل العسكري لحركات المقاومة.⁽¹⁾

2- النشاط الطلابي والنقابي:

سجلت الحركة الإسلامية نجاحات ملفتة في الانتخابات النقابية والطلابية بين أوساط عرب الـ48، ما دفع بالصحافة الإسرائيلية للتعليق بالقول: "كل من زار جامعة تل أبيب بإمكانه مشاهدة اللون الأخضر" الذي ميز قمصان أعضاء اللجنة الطلابية "قرأ" الإسلامية، ممن سيطروا على مجلس اتحاد الطلبة العرب بحصولهم على نصف أصوات الناخبين، ويكتسب فوزها أهمية كبيرة؛ لأنها المرة الأولى التي يشاركون فيها بالانتخابات، وينضم لإنجازات حققتها الحركة في جامعات أخرى، إذ حصلت الكتل الطلابية المكونة من أعضائها، في انتخابات مجلس الطلبة العرب في الجامعات الإسرائيلية على 7 مقاعد من 17 مقعداً!⁽²⁾

وترجم طلاب الحركة نجاحهم في انتخابات مجالس الطلاب العرب في الجامعات الإسرائيلية في الأنشطة التالية:

- أ. إنشاء مصليات للطلاب والطالبات، وكسر حاجز الخوف في البحث عن مكان للصلاة.
- ب. التوعية الفكرية الدينية للطلاب، بالمواعظ الأسبوعية، وإحياء المواسم الدينية، والمشاركة في مؤتمرات إسلامية دعوية.

(1) ديختر، مرجع سابق.

(2) معاريف، 2005/5/28.

الحركة الإسلامية في فلسطين الـ48 بين عامي 1971-2004م

- ج. توعية الفكر السياسي للطلاب المسلمين كمواطنين في "إسرائيل"، بإحياء ذكرى النكبة، ويوم الأرض، ومناسبات أخرى مرتبطة بالقضية الفلسطينية.
- د. المشاركة في فعاليات ترفهية تربية ثقافية تحت إطار إسلامي، يجمع الطلاب من شتى المناطق، مما يتيح التعارف فيما بينهم، وإنشاء علاقات أخوية، تجعلهم يتبادلون الأفكار والثقافات في ظل راية: "إيمان-علم-عمل".
- هـ. التعزيز من مكانة الطالبة الجامعية "المحبة" لتتحرك بجلابها وحجابها أنى شاءت، مما شجع الفتيات على ارتدائه.⁽¹⁾

3- الأداء الإعلامي:

تعتبر صحيفة "صوت الحق والحرية" لسان حال الحركة الإسلامية، وتعبّر عن آرائها إزاء مختلف القضايا المحلية والإقليمية والعالمية، وتسعى لإعطاء منصة واسعة عبر صفحاتها للرأي الذي تمثله الصحوة الإسلامية عالمياً ومحلياً، وتقرّد لذلك المقالات والتحقيقات والأخبار، حيث ركزت الحركة نشاطها الإعلامي بتأسيسها للصحيفة، وصدور العدد الأول منها يوم 1989/10/13، ومرورها بعدة مراحل حتى رست على شكلها الحالي.

صدرت الصحيفة في البداية بـ16 صفحة فقط، لتصل اليوم 56 صفحة، تعنى بالجوانب: الدعوية، التحقيقات الصحفية، الشؤون الأدبية، مجالات الأسرة، وغيرها من الزوايا الثابتة، وتنتشر فيها مقالات لكبار العلماء والمفكرين المسلمين، ك: د. محمد عمارة، د. أحمد العسال، الشيخ سيد عسكر، ود. جابر قميحة، وعلى مستوى الداخل يكتب فيها الشيخان رائد صلاح وكمال خطيب وغيرهما، ويرأس تحريرها توفيق العرعير منذ صدورها.⁽²⁾

ومنذ صدورها، تمنح الصحيفة اهتماماً خاصاً بالمسجد الأقصى ومدينة القدس، وباقي الأوقاف والمقدسات، كونها تمثل الجذور التاريخية والأعمدة التي يبنى عليها الوجود الفلسطيني في الداخل، فضلاً عن قضايا عرب الـ48، كالأضطهاد الديني والقومي الذي يتعرضون له من قبل المؤسسة الإسرائيلية، وتعمل على مكافحة دعاوى "الأسرلة"، وتذويب الفلسطينيين الداخل في مجتمع غريبة أطواره ومعتقداته وعاداته عن أخلاقهم وعاداتهم ودينهم.

(1) الشرباتي، عيسى، الحركة الإسلامية في فلسطين 48، اتجاهات ورؤى مختلفة، مجلة الرسالة، ع4، مايو 2001، ص78.

(2) جميع المعلومات الواردة عن الصحيفة، جاءت في لقاء أجراه الباحث مع رئيس تحريرها خصيصاً لهذه الدراسة.

د. عدنان أبو عامر

وتواصل السلطات الإسرائيلية ملاحقتها للصحيفة بسبب هذه المواقف، فقد انتهجت التحريض عليها عبر وسائل الإعلام الإسرائيلية في أكثر من مناسبة، وأحياناً أكثر من مرة في السنة الواحدة، تمهيداً لإغلاقها، كما حصل عام 1991 لمدة ثلاثة أشهر، وأمر وزير الداخلية بإغلاقها عام 2003، ومنع إدخالها للسجون رغم المطالبات الحثيثة من الأسرى والمعتقلين. الجدير ذكره أن الداخل الفلسطيني تصدر فيه أكثر من 12 صحيفة، ورغم أن غالبيتها صحفاً تجارية، وتوزع في معظمها مجاناً، إلا أن "صوت الحق" لا توزع مجاناً بتاتاً، ومع ذلك، فهي تحتل المكان الرابع من حيث سعة الانتشار، والمكان الأول من حيث ثقة القراء بها.

4- الدوائر التنظيمية:

يشير الاطلاع على منشورات الحركة كـ: "إلى الإسلام، الإسلام هو الحل، لقاء الأحبة، أخي العاقل.. اجلس بنا نفكر ساعة"، إلى طبيعة الأهداف والطموحات التي حددتها، ففي حين تمثلت الرسالة الأساسية لسنوات السبعينيات بـ"الأسلمة" والعودة للدين، جاءت الرسالة المركزية في نهاية الثمانينيات وأوائل التسعينيات لتركز على الموضوع الاجتماعي. وجاء البناء التنظيمي والإداري للحركة متنسقاً مع الأهداف الوطنية والاجتماعية والثقافية والسياسية، التي تجلت بـ:

- أ. الحفاظ على الهوية الوطنية العربية الفلسطينية خوفاً من التهويد والانصهار.
 - ب. الحفاظ على بقاء العربي في أرضه المهددة.
 - ج. بناء مؤسسات اجتماعية وخدماتية للحاجات اليومية، وأخرى تعليمية وصحية.
 - د. إقامة نوادي رياضية ومؤسسات دينية ومساجد، ذات طوابق متعددة؛ واحد لأهداف رياضية، وآخر مكتبة وقاعة محاضرات، وثالث للخدمات الصحية، والأخير مكان للصلاة.
 - هـ. تحرير أملاك الوقف الإسلامي، ووقف مصادرة الأراضي، والاعتراف بالقرى.
 - و. المحافظة على البيئة العربية والإسلامية في "إسرائيل"، بما فيها المساجد والمقامات.
 - ز. توحيد الصفوف لتشكيل جماعة ضاغطة، ذات وزن وتأثير على السياسة الإسرائيلية.⁽¹⁾
- ولتحقيق جملة تلك الأهداف وغيرها، جاء المبنى التنظيمي للحركة بسيطاً وغير معقد، بالنظر إلى الحركات الإسلامية الأخرى، ويتألف من: المؤتمر العام، مجلس الشورى، الإدارة العامة والوحدات الإدارية، الشعب والفروع.

(1) مقابلة مع الشيخ رائد صلاح، مجلة البيان، لندن، ع7، 2003، ص54.

الحركة الإسلامية في فلسطين الـ48 بين عامي 1971-2004م

ويعتبر رئيس مجلس الشورى الهيكل التنفيذي للحركة، ولباقي الجهات الإدارية مسئول مباشر عنها، حيث تتركز الشؤون التنفيذية في الإشراف، ومتابعة مؤسساتها وجمعياتها، بحيث تعد هيكليتها التنظيمية سلسلة في التعامل مع وحداتها المختلفة.⁽¹⁾

كما ازدادت قناعة الحركة بالحاجة لـ"مأسسة" المجتمع العربي في الداخل، من خلال إعادة بناء المؤسسات القائمة، كلجنة المتابعة، وبناء مؤسسات فاعلة لها دور حاسم في حياة المجتمع العربي. يقول الشيخ صلاح في هذا الصدد: "الملاح العامة للسياسة الإسرائيلية تجعل من رئيس السلطة العربية في وضع صعب لا يحسد عليه؛ لأنه بين نارين: مطالب مواطنيه، ونار المؤسسة الإسرائيلية التي تصمم أن تبقى مفرغاً من حقيقة دوره، مما دفعه لتشجيع أمرين: أ- تشجيع المؤسسات في الوسط العربي على إقامة مؤسسات تربوية وصحية، لتؤدي دوراً متكاملًا مع السلطات المحلية العربية،

ب- تشجيع رؤساء الأموال ببناء الشركات الاقتصادية والمؤسسات الإنتاجية.⁽²⁾ ولم تطرح الحركة مشروعها لمأسسة الوسط العربي، شعاراً نظرياً لإقامة مؤسسات إسمية فارغة لا تعمل، بل كانت مؤسساتها فاعلة وناشطة، وأثرها واضح على كل ميادين وأصعدة المجتمع، في ضوء امتلاكها قدرة غريبة على تحويل أفكارها إلى مشاريع عملية ناجحة، تكبر مع مرور الوقت لتصبح مشاريع مندمجة مع المسار العام للمجتمع العربي. لذلك لم يكن صدفة أن يقوم ببناء وتنظيم غالبية مؤسسات الحركة، ورغم أن مسيرة إقامة مؤسساتها وجمعياتها، تمتد على مسيرة عقدين من الزمن، إلا أنها تعمقت وأصبحت أكثر سرعة وتنظيماً ودراسة، وغطت كافة مناحي حياة المجتمع العربي.

وسعت الحركة إلى تطبيق أطروحاتها العملية من خلال الدوائر التنظيمية التالية:

أ- **الدعوة والتبليغ:** وتتميز بأنها الأصل والأساس في التواصل مع الجماهير، وعبرت عن ذاتها من خلال خطبة الجمعة، والعرس الإسلامي، وتطورت إلى مشاريع عديدة، ومنها: إحياء صلاة الفجر، أسبوع الدعوة إلى الله، التواصل مع النقب، وفي هذه الدائرة يمتزج السياسي بالديني، والهم اليومي بالقومي والوطني.

وإضافة للنشاطات الاجتماعية، وسعت الحركة نشاطاتها الدينية الثقافية، لتذكير الجمهور بماضيها، وإرجاعها لتراثها، واستتكار ثقافة الموسيقى الغربية التي انتشرت آنذاك، وتجلياتها

(1) عيسى، مرجع سابق، ص 67.

(2) صوت الحق، 2005/9/18.

د. عدنان أبو عامر

المختلفة التي تشجع تفكيك المجتمع، ومقاطعة السينما المحلية، واتهموها بترويج أفلام إباحية، وهاجموا مسابقات ملكات الجمال في الوسط العربي، وقاوموا توجهات محلية لتبني أعياد وتواريخ غريبة كأيام الأعياد، ويوم الأم، وإغلاق الملاهي الليلية، ومحاربة بيع المشروبات الروحية.⁽¹⁾ في المقابل، بدأت الحركة تطرح نفسها كـ"بديل" صالح لتلك الأفكار، من خلال شعار "الإسلام هو الحل"، من خلال الأدبيات الإسلامية الأصيلة، واقترحت تبني نمط الحياة التقليدي والمتواضع للإسلام، وأقامت فرق الفن الإسلامي للأعياد والمناسبات، ووسائل الفن كـ"الدف والطبل"، وأقامت الفرق المسرحية، لعرض فقرات من الحياة النبوية، وشجعت الرياضة، وأقامت "اتحاد الرياضة الإسلامية"، ونوادي "الجودو"، الكراتيه والملاكمة، وحولت بعض المساجد إلى مراكز تعليمية، يتعلم فيها الطلاب القرآن والحديث.⁽²⁾

ونشر شباب الحركة بشكل مجاني نسخ القرآن وتفسيره، ووزعوا منشورات كثيرة، وافتتحوا عدداً من المكتبات الجماهيرية ذات الأدبيات الإسلامية، وقاموا بمساعدة الطلاب الثانويين في مواد الرياضيات، واللغات والمواضيع الأخرى.⁽³⁾

ب- **الكسب الجماهيري**: وتعرف تاريخياً بمعسكرات العمل الإسلامي، والوقف الإسلامي، والعمل التطوعي العام.

ج- **العمل الاجتماعي**: للحفاظ على النسيج الاجتماعي لعرب الـ48، فأقامت لجان الإصلاح لقطع دابر الفساد وإصلاح ذات البين، ولجان الزكاة لإغاثة العائلات الفقيرة، وأنشأت العيادات الصحية، ومجلة "إشراق" كرافعة دعوية نسوية تصب في مكاسب الدعوة.

د- **العمل الاقتصادي**: وتتطلب من فهم تشجيع الشباب المسلم على الكسب الحلال، والعمل الدائم، وترك البطالة، وتشجيع إنشاء الشركات الاقتصادية التي تدفع نحو تقدم المجتمع، وتقليص حدة البطالة، بعد أن تبين أن 58% من فلسطيني الـ48، يعيشون تحت خط الفقر.⁽⁴⁾

5- المجتمع العصامي:

شكلت "هبة أكتوبر 2000"⁽¹⁾ التي اندلعت في الوسط العربي داخل "إسرائيل" تعاطفاً مع انتفاضة الأقصى، مفصلاً مهماً في بلورة وعي الحركة الإسلامية حول المسار الذي يتوجب على سلوكه

(1) توماس، مرجع سابق، ص32.

(2) باري، عوفر، الجمعيات الإسلامية في الجليل الأسفل، رسالة ماجستير، جامعة حيفا، 1997، ص32.

(3) طال، مرجع سابق، ص9.

(4) صحيفة فصل المقال، 2003/7/30.

الحركة الإسلامية في فلسطين الـ48 بين عامي 1971-2004م

بعد مرور عقود على العمل السياسي، تمثلت خطوطه العريضة نحو ما أسماه "بناء الذات"، والاعتماد عليها، وما أطلق عليه مشروع "المجتمع العصامي"، بعد ملاحظة قصور كبير في تنظيم المجتمع العربي، والخلل التنظيمي على جميع الأصعدة، مما اعتبر عاملاً دفعاً للتفكير بمشروع رائد ومحلي لإعادة تنظيم بني المجتمع العربي التحتية.

يقول الشيخ صلاح: "كيف ننقل إلى مجتمع منتج يملك القدرة على أن تكون لقمة طعامه من صنع يديه، مما يساعده على الصمود في قضاياها المصيرية؟ هذا الدرس نستطيع التحدث عنه بصراحة، وبناءً عليه نستطيع أن نصرح داعين وسطنا العربي لأن يبدأ بإقامة مؤسسات منتجة في ميادين التجارة والصناعة والتموين، وإقامة مراكز ذات نمط مستقل خدمة لمجتمعنا في شؤون الصحة والوقاية".⁽²⁾

وتم ترجمة هذا المشروع بعد أن حدد نقاط الضعف في المجتمع العربي الفلسطيني في الداخل، وتعرف على واقعه أكثر من أي وقت مضى، لاسيما وأن تجربة انتفاضة الأقصى في الوسط العربي مثلت له تجربة غنية ومهمة وحاسمة أكثر من سنوات عمله السياسي كلها، وليس صدفة أن يخرج مشروع "المجتمع العصامي" عقب اندلاعها، حيث مكنته من "هضم" تجارب السنين السابقة من العمل السياسي والجماهيري والتنظيمي.

وقد جاء مشروع "المجتمع العصامي" للتواصل مع واقع العرب المعيشي، وهمومهم، بهدف بنائه الذاتي من جهة، وبناء لبنات حية في الداخل الفلسطيني من جهة أخرى، وفي هذا يوضح الشيخ صلاح أحد أبعاد هذا المشروع بأنه يقوم على قدرات ذاتية، ويدعو إلى ضرورة الجمع بين 3 عناصر له وهي: "الأرض والقدرات العلمية والمال".

وقد كشف هذا المشروع عن أهم نقاط الضعف التي لمسها في المجتمع العربي، وقيادته على النحو التالي:

أ- **بدء النضال، وجهل كيفية إنهائه:** ما يؤكد الحاجة لمأسسة المجتمع العربي، وإعادة تنظيم بنائه القائمة، والتخلص من قيم قائمة، كالاستهلاك بدون إنتاج، وجاعات الأحداث بمثابة "لطمة" لأصحاب رؤية انتزاع المساواة من المؤسسة الإسرائيلية، وأصابت البعض الآخر بالذهول؛ لأنه

(1) حالة المظاهرات العارمة التي عمت أرجاء المدن داخل "إسرائيل"، في عكا وحيفا ويافا وأم الفحم والناصرية، تضامناً مع انطلاق انتفاضة الأقصى، وسقط خلالها عدد من الفلسطينيين بين قتيل وجريح، واعتبرت علامة فارقة في علاقة العرب مع الدولة.

(2) صلاح، رائد، أوراق في المجتمع العصامي، صحيفة صوت الحق والحرية، 2004/6/29.

د. عدنان أبو عامر

اكتشف أنه لم يكن بمستوى تحمل تبعات الأحداث بكل جوانبها الاجتماعية والسياسية والأمنية والنضالية.

ب- **المجتمع العربي استهلاكي**: اعتبر الشيخ صلاح نزع "القيمة الاستهلاكية" للمجتمع العربي من دروس الانتفاضة؛ لأنها "تحمل خسارة تراكمية في قيمنا وأنماط سلوكنا، وتعتبر بعيدة عن هويتنا، من حيث نشعر أو لا نشعر، والحاجة لمجتمع منتج هو الكفيل بالحفاظ على قيم وأنماط سلوك مجتمعنا"⁽¹⁾.

وجاء الاهتمام بذلك لما شهده الوسط العربي من حصار اقتصادي، ونقص المواد الغذائية الأساسية في القرى، حيث كشف حالة التبعية بأسوأ صورها للاقتصاد الإسرائيلي، وبما أنه يطرح الحلول الواقعية والعملية فلم يناد بالانفصال الاقتصادي، ورفض حالة التبعية، بل بتحول تدريجي للمجتمع العربي نحو الإنتاجية، وسد الحاجات الأساسية لأفراده.

وتوصلت الحركة إلى قناعة تعمقت في وعيها أن المجتمع العربي ينقصه "التكافل الاجتماعي"، وضرورة الحاجة لتعميقه، ما يحتم العمل بإحياء معاني التكافل الاجتماعي لدى جماهيرها، وتربيتها على أن تكون مستعدة للتنازل عن كماليات كثيرة من حياتها، وهذا عنصر أساسي تستطيع من خلاله الصمود في وجه سيف الحصار أو المقاطعة.

الأمر الملفت أن المؤسسة الإسرائيلية تلقت فكرة "المجتمع العصامي" بنوع من الشك، واعتبرته مشروعاً "انفصالياً للحكم الذاتي"، وسئل عنه الشيخ رائد في لجنة "أور" للتحقيق في هبة أكتوبر عام 2000، باعتباره مقدمة لإقامة دولة مستقلة، وفقاً لما قدمه جهاز "الشاباك".

6- **النشاط الدولي**: بحصول الحركة على عضوية عدد من المؤسسات الإسلامية والعالمية، وكسب تعاطفها، والحصول على دعمها لاستكمال مشاريع إعمار الأقصى والمقامات، التي تحاول "إسرائيل" الاستيلاء عليها، إضافة لفضح العنصرية الإسرائيلية تجاه فلسطينيي الـ48، وتوضيح حقيقة الوضع داخل "إسرائيل"، وكذب ديمقراطيتها.⁽²⁾

خامساً: المشاركة السياسية

تميزت الحركة الإسلامية بمشاركتها السياسية على مستوى السلطات المحلية، وطالبت من خلال مجلس شورى كل بلد يريد المشاركة في الانتخابات، تقديم دراسة حولها، وبناءً على الفحص

(1) المرجع السابق.

(2) من اللافت ملاحظة مشاركة الحركة الإسلامية وقياداتها في العديد من المهرجانات الخطابية التي تقيمها منظمات عربية وإسلامية ودولية لدعم الفلسطينيين في العديد من عواصم العالم.

الحركة الإسلامية في فلسطين الـ48 بين عامي 1971-2004م

والتحصيص تتخذ قرارها الملزم، والتواصل مع الهيئات السياسية والأحزاب لحفظ المكاسب التي حصلت عليها الجماهير العربية عبر مراكمة نضالها الوطني والحقوقى، والحفاظ على مؤسساته، مع القناعة بضرورة إعادة بنائها وتنظيمها، ومقاومة الخدمة العسكرية، وحفظ الهوية لفلسطيني الداخل، بمركباتها الدينية والقومية العروبية.

وفي عام 2001، طرحت الحركة مبادرة "الميثاق الاجتماعي" ليشكل الرابطة القوية لعرب الداخل، ونبذ الطائفية والتعصب الأعمى، وبث روح التسامح، وتوحيد الجهود لمواجهة سياسات مصادرة الأراضي والدفاع المشترك عن الأوقاف والمقدسات، والعمل على تحريرها، وحل الخلافات بين أبناء المجتمع العربي، وغيرها من الأهداف.

ورغم رفضها الاشتراك في الانتخابات البرلمانية للكنيست الإسرائيلي، وبقاء هذا الموقف متمسكاً حتى التسعينيات بين جميع أطراف الحركة، إلا أنها أقيمت بقوة على انتخابات المجالس المحلية، واستطاعت تحقيق فوز واضح في العديد من المواقع.⁽¹⁾

1- الانتخابات البلدية

أعطت الجماهير العربية في "إسرائيل" أهمية كبرى للانتخابات المحلية، بدليل نسبة التصويت المرتفعة فيها مقارنة مع انتخابات "الكنيست"، وترى في الحكم المحلي مجالاً جوهرياً تستطيع من خلاله أن يعبر العرب عن إرادتهم بصورة جيدة.

وتجلى ذلك في إنشاء "اللجنة القطرية لرؤساء السلطات المحلية العربية" كجسم تمثيلي وطني للعرب، بالرغم من عدم اعتراف السلطات الإسرائيلية بها، حيث حظيت بشرعية جماهيرية واسعة، وقد اندمجت الحركة عملياً فيها بعد الانتخابات المحلية عام 1989، التي كشفت النقاب عن خارطة الأحزاب السياسية في الوسط العربي، بما الحركة الإسلامية.

وضمن سعيها لتحسين أحوال فلسطيني الـ48، شاركت الحركة منذ عام 1984 في انتخابات المجالس المحلية، وفازت في أول انتخابات محلية تشارك فيها برئاسة مجلس "كفر برا"، وحصلت على تمثيل في عضوية مجلس "كفر قاسم والطيبة"، ونجحت في الفوز بـ5 مجالس، وبـ45 مقعداً في 14 بلدية، مقابل 6 مقاعد في 4 مجالس عام 1986.

وفي انتخابات عام 1989 فازت برئاسة 5 بلديات في "أم الفحم، كفر قاسم، جلجولية، راهط، كفر برا"، وعضوية بلديات "الناصر، كفر كنا، الفريديس، الطيبة، الطيرة، قلنسوة".⁽¹⁾

(1) أبو الهيجاء، إبراهيم، ضرب الحركة الإسلامية في إسرائيل... الإرهاصات والدلالات، الجزيرة نت: www.aljazeera.net/NR/exeres/FEC1FB27-F2B8-419D-8530-BFFCB4505AAD.htm - 87k

د. عدنان أبو عامر

ولضرورة المقارنة، حافظت القوائم الإسلامية على قوتها في الانتخابات التي أجريت في نوفمبر 1993، حيث فازت بـ5 رؤساء، بعد خسارتهم لرئاسة بلدية "راهط" في النقب، وفوزهم برئاسة بلدية "كابول" في الجليل، ووصلوا إلى تسوية بالتبادل في "كفر كنا" بالجليل. ومن المعطيات الإحصائية، يتضح أن أساس قوة الحركة في المجالس المحلية يكمن في منطقة المثلث؛ لأنها نمت هناك، وسكانها مسلمون، كما أن الاحتكاك مع الضفة الغربية، وطريقة الحياة التقليدية الدينية لسكانها أدت إلى نجاحها في المثلث أكثر من الجليل والنقب. وفي انتخابات عام 1998، فازت بـ7 مواقع رئاسية، استعادت خلالها "راهط" التي فقدتها عام 1993، وفازت بموقع جديد في "طمرة"، وخسرت رئاسة "كفر قرع"، وحصلت على 46 مقعداً في 15 انتخابات محلية خاضتها ضد قوائم باسم الحركة، أو قوائم متحالفة.⁽²⁾ صحيح أن القوائم الإسلامية في التجمعات المختلفة لها علاقة تنظيمية، ونوع من الطاعة لقيادة الحركة، إلا أن لكل مجلس محلي جوهر خاص به، مما يعطيها مساحة كبيرة للمناورة، مقارنة مع القوى المركزية كالحزب الشيوعي الخاضع لقياسات قطرية. ورأت المؤسسة الإسرائيلية في نجاح الحركة في الانتخابات المحلية مظهراً من التطرف، لدرجة أن وزير الداخلية "أرييه درعي" قال "سنشتاق للحزب الشيوعي"، فيما نظر رئيس الحكومة "يهود اولمرت" إلى صعودها على أنها "ظاهرة مقلقة ستهددنا إذا أغفلناها".⁽³⁾ وقيلت هذه الأقوال بعد فوزها لرئاسة بلديات "أم الفحم، كفر قاسم، كفر برا"، حيث توجه "أولمرت" بنداء للعرب، مطالباً إياهم بـ"الابتعاد عن الأصولية الإسلامية المكروهة في العالم كله، محذراً من تبنيهم لهذه الأفكار التي ستهدد أساس التعايش في إسرائيل".⁽⁴⁾

(1) أبو ريا، عصام، تطور القيادة العربية. دراسة الحركة الإسلامية في أم الفحم، الجامعة العبرية، القدس، 1991، ص131.

(2) بن أهارون، يوسي، حكم أم الفحم، صحيفة "هنتسوفيه"، 2003/9/2.

(3) يديعوت احرونوت، 1999/3/1.

(3) المرجع السابق.

الحركة الإسلامية في فلسطين الـ48 بين عامي 1971-2004م

وفي فترة متأخرة، حاول أعضاء كنيست من أحزاب "الليكود وتسومت" منعها من المشاركة السياسية بعرضها كـ"عامل معادي للدولة"، وتهديدها للعلاقات اليهودية العربية.⁽¹⁾ ورأى "يوسي بن أهرون" مدير مكتب رئيس الوزراء الأسبق "إسحاق شامير" أن اهتمام الحركة بالانتخابات المحلية صورة من "التوجهات الانفصالية" التي تحكم عملها.⁽²⁾

2- انتخابات الكنيست

عززت نجاحات الحركة الإسلامية في السلطات المحلية، توجه جزء من قياداتها بنقل هذا النجاح إلى المجال البرلماني، ورأت في ارتفاع شعبيتها بين العرب رمزاً إيجابياً، على ضوء تقديم وخيبة أملهم، من الأحزاب القائمة، ونشاط نواب الكنيست العرب. واعتقد المؤيدون أن الوقت قد حان لفرض قوة الحركة الانتخابية على مستوى الكنيست، وإثبات أنه يمكن للعرب أن يحققوا من خلاله أهدافهم بصوره ناجحة أكثر، مما أدى لاختلافات في الرأي داخلها، ومنذ ذلك الحين، انقسمت إلى تيارات قوية مرتبطة بـ3 شخصيات قيادية، على النحو التالي:

أ- التيار الأول بزعامة الشيخ عبد الله درويش: الذي اعتبر موضوع التنافس في الانتخابات البرلمانية إعطاءً لشرعية الحركة، وقياس قوتها الانتخابية، ومحاولة لخدمة العرب من خلال الكنيست، مما اعتبر "تياراً براغماتياً"، يقول عن نفسه إنه يعايش الواقع، ويمتنع عن الاحتكاك بالسلطات الإسرائيلية، ويميل للاندماج في الواقع الإسرائيلي.⁽³⁾ ودفع هذا الاتجاه نحو المشاركة في الانتخابات بالتصويت لمصلحة قائمة عربية حليفة، وأنشأ "القائمة العربية الموحدة" بتعاون مع سياسيين عرب، وحصل على عدة مقاعد في الكنيست، وهو أكثر وضوحاً وعلانية في التعبير عن دعمه لعملية السلام واتفاق "أوسلو"، وذو علاقات قوية بالسلطة الفلسطينية، وتزعمه إلى جانب درويش، إبراهيم صرصور، توفيق الخطيب، عبد المالك دهامشة، وآخرين.⁽⁴⁾

ب- التيار الثاني بقيادة الشيخ رائد صلاح: لم يوافق على تلك التبريرات، باعتبار أنه من السابق لأوانه التنافس على انتخابات الكنيست، فقد مرت الحركة بالانتخابات المحلية، ولم تجر

(1) هآرتس، 1999/2/12.

(2) يديعوت أحرونوت، 2001/1/26.

(3) صحيفة فصل المقال، 2002/2/12.

(4) مشاركة العرب في الانتخابات الإسرائيلية، قناة الجزيرة الفضائية، 1999/4/28:

<http://www.aljazeera.net/channel/archive/archive?ArchiveId=89920>

د. عدنان أبو عامر

فحصاً داخلياً: هل نجحنا أم فشلنا؟ هل قويناً أم تراجعنا؟ كل هذه الأمور يجب فحصها بدقة قبل أن نقرر قراراً تكون نتائجه "كارثية".⁽¹⁾

وحدد موقفه من انتخابات الكنيست منذ بداية تشكله الفكري والسياسي، وجاءت انتفاضة الأقصى أواخر العام 2000، ليكون لها الأثر الكبير في التشديد على هذا الموقف الحاسم منها، معتبراً إياها "معركة وهمية تهدف إلى استنزاف قوتنا، ثم ضياع أعمارنا، وغرق طموحنا، ونحن نصرف كل طاقاتنا في هذه المعركة الوهمية التي لا تسمن ولا تغني من جوع! وإن تجربة أكثر من خمسين عاماً في الكنيست أثبتت أن النتيجة تكاد تصل إلى الصفر؛ لأنه ذا وضعية ثابتة أحبطت جهود النواب العرب، وهي ليست طريقاً نصل بواسطتها إلى أدنى حق من حقوقنا".⁽²⁾

ولعبت الحركة عموماً، والشيخ رائد خصوصاً دوراً كبيراً، ليس فقط في رفع نسبة المقاطعة في انتخابات الكنيست عام 2003، بل في المقاطعة الجارفة لانتخابات رئاسة الحكومة عام 2001، ووصلت نسبة المقاطعة 82% من المصوتين العرب، واعتبرت صفحة جديدة "أدخلت الجماهير العربية الفلسطينية إلى الحلبة السياسية بكل استقلالية وجدارة؟ لأنها باتت تبحث عن "الموقف العصامي" في حياتها! فكانت قراراً سياسياً يعكس توجهها العصامي في تفكيرها! وباتت تملك الأرضية الخصبة لديها لبناء المجتمع العصامي!⁽³⁾

ويقيم هذا التيار علاقات قوية بالحركات الإسلامية في الضفة وقطاع غزة، لاسيما حركة حماس، وفي ذات الوقت، حافظ على علاقات جيدة بالسلطات الإسرائيلية بعد إدارته للعديد من البلديات للحصول على موارد لتمويل المشاريع التطويرية المحلية والخدمات، ومن رموز التيار إلى جانب الشيخ رائد، هاشم محاجنة، كمال خطيب، وآخرين.

ج- التيار الثالث بقيادة كمال الخطيب: وهو ذو مواقف متشددة ضد المشاركة في انتخابات الكنيست، وقد انضم التياران الأخيران فيما بات يعرف بـ "الحركة الإسلامية- الفرع الشمالي"، أما التيار الأول فأصبح يحمل اسم "الحركة الإسلامية- الفرع الجنوبي".⁽⁴⁾

(1) يديعوت احرونوت، 1998/3/3.

(3) مثلت سلسلة المقالات التي نشرها الشيخ صلاح تحت عنوان: "نحن والانتخابات" في صحيفة صوت الحق والحرية من نوفمبر 2002 إلى فبراير 2003 دليلاً على موقفه، وشكلت دراسة متأنية ورؤية سياسية للحركة حول العمل البرلماني الإسرائيلي.

(3) مجلة فلسطين المسلمة، حزيران يونيو 2004، ص 43.

(4) رائد صلاح.. قبلة موقوتة، صحيفة هتسوفيه، 2004/3/15.

الحركة الإسلامية في فلسطين الـ48 بين عامي 1971-2004م

ورغم اتفاق الحركة على مختلف محاور العمل الفكري والسلوك السياسي، سواء تجاه "إسرائيل" أو المواطنين العرب داخل فلسطين من غير المسلمين، أو تجاه الحركات الإسلامية الأخرى، الفلسطينية والعربية، إلا أن عقد التسعينيات من القرن العشرين شهد افتراقاً أقرب ما يكون للقطيعة، قبيل الانشقاق التاريخي الذي وقع بين الجناحين، الشمالي والجنوبي.

وتبدى ذلك أكثر فأكثر في مواقف الشيخ درويش، الذي بدأ بإعلان المواقف السياسية والتوجهات الفكرية لتنافي كلياً ما ذهب إليه الشيخ صلاح، لاسيما بعد توقيع اتفاق أوسلو عام 1993، حيث وقع خلاف بين قادة الحركة بشأن تأييد المبادرة السلمية.⁽¹⁾

سادساً: مرحلة الانشقاق

بدا واضحاً أن الحركة الإسلامية في طريقها إلى الانشقاق، بسبب قرار المشاركة في الانتخابات البرلمانية، مع عدم إغفال باقي "التصورات الاجتهادية" المتعلقة بدورها، ويمكن تلخيص الأسباب الحقيقية للانشقاق التاريخي الذي وقع في المحاور التالية:

1- مرجعية منظمة التحرير الفلسطينية، بعد بروز توجه آخر داخل الحركة، وتحديدًا منذ مطلع التسعينيات من القرن الماضي، لا يرى فيها مرجعية للشعب الفلسطيني ما لم تعتمد الإسلام منهجاً، ونظام حياة.

2- القبول بقيام الدولة على أي جزء من التراب الفلسطيني، ولو كانت بمدينة واحدة، مع عدم اعتبار ذلك حلاً للقضية الفلسطينية من وجهة نظر تيار عريض داخل الحركة.

3- المشاركة في انتخابات الكنيست، وخضوعها للتطورات الميدانية واللحظة المناسبة، في حين لا يعتبر تيار آخر هذا البرلمان العنوان الصحيح لقضايا عرب الـ48، بل "مقبرة" للحركة الإسلامية.⁽²⁾

وهكذا نمت وتبلورت داخل الحركة توجهات متناقضة تجاه قضايا جوهرية تمس صلب الفهم السياسي لها، واتضح أن هناك مسارين داخلها منذ سنوات:

المسار الأول: يدعو للانخراط في العملية السياسية والنظام الإسرائيلي لأبعد حدود، بدون ضوابط محددة أو معالم واضحة، ويقف على رأسه الشيخ درويش، وأبدى تلامذته استعدادهم "العملي" للانخراط في الحكومة الإسرائيلية، إذا ما عرض الأمر عليهم.

(1) دور، يهود، متطرفو الإسلام في إسرائيل، دار حوتم، تل أبيب، بدون تاريخ، ص 87.

(2) مصطفى، مهند، انتخابات الكنيست في الوسط العربي: المقاطعة والمشاركة، مجلة شؤون دولية، ع18، أم الفحم،

2003، ص 27.

د. عدنان أبو عامر

المسار الثاني: يعمل بجهد جبار على بناء جماعة إسلامية ذات مبنى تنظيمي واضح المعالم، مع خط سياسي يحافظ على الهوية الإسلامية، وإيجاد مؤسسات للحركة تعمل في حدود القانون الإسرائيلي، ويقف على رأسه الشيخان صلاح والخطيب.

ووصلت ذروة تطور المفاهيم السياسية لدى المسارين درجة استحالة الاتفاق بينهما في المؤتمرات التي عقدتها الحركة بين عامي 1995-1996 لبحث قضية انتخابات الكنيست، حيث عبر الشيخ إبراهيم عبد الله عن الحالة بقوله: "الحركة الإسلامية لم تستطع استيعاب الآراء المختلفة داخلها، لأن فيها من لم يقبل بقواعد اللعبة السياسية".⁽¹⁾

ولم يعد خافياً أن الحركة تتجه "مسرعة" نحو الانشقاق، في ظل توجيهين متناقضين في تناولهما لقضايا مهمة، أسفرا عن اتساع الهوة الفكرية بينهما، ومن ذلك ما نقل عن الشيخ درويش عدم تمسكه بحق عودة اللاجئين، فيما نجد الشيخ صلاح يعتبره من أساسات القضية الفلسطينية، لا يمكن التهاون فيه، أو التنازل عنه، أو التفاوض عليه.

وبدأت الصحافة تتحدث عن خلافات داخل الحركة، حيث رصدت المراحل التي أفضت للانشقاق من خلال التطورات التالية:

أ- **المرحلة الأولى:** من لحظة الإفراج عن الشيخ درويش وحتى عام 1986، وتميزت بمراجعاته، وتبني سياسة الاعتدال، والاستعداد للتفكير في العمل السياسي الإسرائيلي.

ب- **المرحلة الثانية:** بين سنوات 1987 حتى انتخابات الكنيست عام 1992، واتسمت بدخول السلطات المحلية والتصريحات المتتالية من بعض قيادات الحركة على تأكيد سياسة الواقعية والاعتدال وقبول "إسرائيل"، وخلق وضع يعيش فيه المجتمع العربي داخلها على أساس الإسلام دون الإضرار بقوانين الدولة، وصولاً إلى "إنهاء غربة الحركة داخلها".

ت- **المرحلة الثالثة:** وتبدأ بعد انتخابات عام 1992، وتنتهي بإعلان الحركة بقيادة الشيخ صلاح عن مؤتمرها الأول يوم 1997/3/28، وانتخابه رئيساً لها، وإعادة صياغة مؤسساتها، وانتخاب مجلس الشورى، مما دفع بالشيخ درويش لفصلهما، وقيام "إسرائيل" بحملات اعتقالات، وإغلاق مؤسسة "الإغاثة واليتيم"، واعتقال رئيسها د. سليمان أحمد، وملاحقة مندوبيها في مدينة حيفا، والتحقيق مع العاملين فيها، واستجواب صلاح بنفسه.⁽²⁾

(1) صحيفة كل العرب، 1996/11/22.

(2) فلسطين المسلمة، مرجع سابق.

الحركة الإسلامية في فلسطين الـ48 بين عامي 1971-2004م

لكن المراحل التاريخية للانشقاق تخللها تسلسل زمني على النحو التالي:

1- مطالبة الشيخ درويش بإقامة كتلة سياسية موحدة تشمل جميع الأحزاب العربية في "إسرائيل"، مقترحاً تسميتها بـ"المعسكر الوطني العربي للسلام"، وتأييده مقررات قمة الجزائر، وقرارات المجلس الوطني الفلسطيني عام 1988، والدخول في مفاوضات مع "إسرائيل" لحل القضية الفلسطينية بطرق سلمية، فيما رد عليه الشيخ صلاح برفض هذه المواقف.

2- بروز ما يشبه "التناغم والغزل" بين حزب العمل الإسرائيلي وقيادة الحركة بزعامة الشيخ درويش وكامل ريان وإبراهيم عبد الله، وإعلانهم أنها جزء لا يتجزأ من "إسرائيل"، وإسقاطهم لشعار "الإسلام هو الحل" لتبدو أكثر عقلانية، ولا يصدر قرار يمنعها من دخول الكنيست.

3- بتاريخ 1995/5/26 قررت الحركة عدم خوض انتخابات الكنيست بمرشحين من قبلها، وإعطاء حرية الاختيار لأبنائها بما يتوافق مع فهمهم واجتهادهم، وإعلانها "أننا غير ملتزمين بأي قرار يتخذ باسم الحركة في موضوع خوض انتخابات الكنيست، ولسنا مسئولين عنه، ولا نتحمل أي تبعه له على أي صعيد، وإنما ماضون في عملنا الإسلامي، وفي حركتنا الإسلامية، وفق فهمنا العقائدي وحسنا الوطني"⁽¹⁾، وفي هذا البيان خطوة أولى نحو الانشقاق.

فيما يمكن إرجاع أسباب الخلافات التي نشبت داخلها منذ أواخر الثمانينيات، واتضح خلال تسعينيات القرن الماضي، وأفضت إلى الانشقاق بما يلي:

1- تغليب العمل السياسي على الدعوي، مما هدد مميزات الشخصية الحركية لأبنائها.

2- التماهي مع الوضع السياسي في الداخل الفلسطيني، إلى حد دعم مرشحين إسرائيليين كـ"شمعون بيريس" لرئاسة الوزراء.

3- كيفية التعاطي والتعامل مع الواقع المستجد فلسطينياً في الضفة الغربية وقطاع غزة، سواءً مع السلطة الفلسطينية أو القوى الإسلامية، وخاصة حركة حماس.

وجاء الشيخ خطيب واضحاً في "تبرير" الانشقاق ليطلق عليه "تصحيح المسار"، بقوله:

1- الحركة تخطيء وتصيب، وعليه فلا بد من تقوية مسارها بين الحين والآخر؛ لأن مهمتها تغيير الإنسان المسلم في أخلاقه ومواقفه وسلوكياته.

2- الحفاظ على ثوابت الحركة العقائدية والفكرية والسياسية والحركية، مع الاستفادة من المساحة التي يسمح بها الشرع في المرونة والاجتهاد، وضرورة ارتكاز العمل السياسي على ثوابت عقائدية وأدلة شرعية.

(1) بيان "نداء الحق"، 1996/3/29.

د. عدنان أبو عامر

3- تصحيح المسار التربوي في نهج الحركة، وإعادة التوازن الطبيعي، بعد تضخم الجانب السياسي على الجوانب الأخرى، مما أدى لاستنزاف طاقاتها في معارك ومشاريع لا تقع في الدرجة الأولى من حيث الأهمية والأولوية، وأن يكون تصورنا نابعاً من القناعات الإيمانية البعيدة عن ضغط الواقع والظروف.

4- تحقيق "الوسطية" بين الأمن الداخلي والخارجي للحركة، بعد تضخيم الخارجي على الداخلي، والسعي الدائم لتوضيح واقعها ليصل إلى حد "التزلف" للمؤسسة الإسرائيلية، مع أن الأولى هو تحقيق الموازنة بين المواقف السياسية والتوجهات الأخلاقية المنبثقة من أخلاقيات الدين الحنيف.

5- رفض سياسة "الغاية تبرر الوسيلة"، مما أفقد الحركة الكوابح التي أوردتها مآلات لم تحمد عقابها، وما وصفها بـ"الفرمانات" والقرارات غير المسؤولة والتفوهات النابية.⁽¹⁾

فيما أوضح الشيخ صلاح الأسباب التي دعت للانشقاق بقوله "في خضم بحث قضايا الكنيسة تكشفت لنا سلوكيات وأخلاقيات غريبة عن الحس الإسلامي، كادت تعصف ببعض دعائم الأخوة والتغافر والإخلاص في العمل والعلاقات الإسلامية".⁽²⁾

وبين الشيخ حماد أبو دعابس أسباب الانشقاق من وجهة نظر الشيخ درويش فكتب "نحن في الحركة اخترنا منهج التيسير لا التعسير، والوسطية والاعتدال، لا التزمت والتعصب، ومد الجسور مع الآخرين، وكل من خالفنا الرأي، ولو كانت بيننا وبين الناس شعرة ما قطعناها، وسنظل نحتكم لمؤسساتنا الشورية، أما من أراد أن يكون لأهواء شخص من الناس، أياً كان، وأثر الديكتاتورية على الشورى، والشدة والتعصب على المرونة والحكمة، فله أن يفعل بنفسه ما يشاء، ولا نملك إلا أن نقول لإخواننا الذين فصلوا أنفسهم عنا: اتقوا الله في أنفسكم وإخوانكم ودعوتكم، وعودوا إلى الحق، وإياكم أن تأخذكم العزة بالإثم، والله غالب على أمره".⁽³⁾

وإلى جانب تلك الأسباب الداخلية، هناك عوامل خارجة عن الحركة عجلت في تحقيق الانشقاق، يمكن تلخيصها بما يلي:

أ- الدور الإسرائيلي: في دفع الحركة لأحضان "الأسرلة"، ودفعها للدخول في الكنيسة، والمشاركة في العمل البرلماني، ويمكن ملاحظة متابعة تاريخية ممنهجة في الإعلام الإسرائيلي

(1) صحيفة صوت الحق، 2002/8/5.

(2) المرجع السابق.

(3) صحيفة كل العرب، 1999/12/9.

الحركة الإسلامية في فلسطين الـ48 بين عامي 1971-2004م

بدفع الشيخ درويش ومدرسته نحو مزيد من الخوف على الحركة ومستقبلها، مما أفضى إلى تبنيها سياسات المهادنة مع السلطات، وزيادة التقارب مع اليسار الإسرائيلي، خاصة حزب العمل. وكان من "المساهمات" الإسرائيلية في ترسيخ الانشقاق، تصنيف الحركة إلى "جنوبية وشمالية"، بحكم التموضع الجغرافي لقياداتها، كما تعرضت للفتاوى التي صدرت في العالم الإسلامي بشأن الانتخابات، وحرمة دخول الكنيست، وكيف أن قيادات فيها لم تتقبل القرار القاضي بعدم المشاركة، وتجاوزته، ولو بثمن إحداث انشقاق فيها، كما جاء على لسان المحامي "عبد الملك دهامشة"، وهو من أتباع الشيخ درويش.

ب- الضغوطات السياسية: لوحظ خلال عامي 1995-1996 تدخل أطراف خارجية، عربية وفلسطينية وإسلامية في شؤون الحركة، وبالذات ما تعلق بالانتخابات الإسرائيلية، والمشاركة المباشرة فيها، وكل سعى لترويج سياساته وقناعاته.

فقد التقى السفير المصري في "إسرائيل" محمد بسيوني بالشيخ سعيد بلال أحد رموز العمل الإسلامي في الضفة الغربية، لإقناع الشيخ درويش للمشاركة في انتخابات موحدة، واقتنع الأخير بذلك.⁽¹⁾

في حين أصدرت مجلة "فلسطين المسلمة" المقربة من حماس، مجموعة من الفتاوى الشرعية بحرمة الدخول في انتخابات الكنيست، وأفتى 79 من العلماء المسلمين الذين حرموا دخولها، ومنهم المرشدان السابقان للإخوان المسلمين مصطفى مشهور ومأمون الهضبي، وفتحي يكن وأحمد العسال وعبد الفتاح أبو غدة وعبد المجيد الزنداني ويوسف القرضاوي وهمام سعيد، وغيرهم كثير.⁽²⁾

سابعاً: العلاقة المأزومة مع "إسرائيل"

يمكن قراءة التحولات الإسرائيلية المتسارعة إزاء الحركة الإسلامية ضمن أسباب غاية في الأهمية أهمها:

1- تواجد البنية الصلبة للحركة في منطقتي المثلث والجليل، حيث بدا التخوف الإسرائيلي كبيراً من نوازع انفصال فلسطيني، أو أن تكون المنطقة مثيرة للقلق الأمنية، أو تشكل بنية مساعدة للمقاومة الفلسطينية في الضفة وغزة.⁽³⁾

(1) صحيفة القدس المقدسية، 2000/11/16.

(2) مجلة فلسطين المسلمة، تموز يوليو، 2000، ص32.

(3) باز، رؤوبين، تطور العامل الإسلامي الفلسطيني 1967-1988، رسالة ماجستير، جامعة حيفا، 1989، ص34.

د. عدنان أبو عامر

2- زاد من التخوف الإسرائيلي أن الخلايا الفدائية استعانت بأبناء الحركة لتنفيذ عملياتها في العمق الإسرائيلي، ورغم الإخفاق في إثبات توجهها نحو "عسكرة النضال"، فقد اعتبر التحريض ضدها كافياً لإيجاد جيل فلسطيني مرتبط بالمقاومة، وهو ما عبر عنه "كارمي غيلون" رئيس المخابرات الإسرائيلية الأسبق بقوله: "يجب ضربهم حتى لو لم يكن لهم علاقة مباشرة بالعمل العسكري".⁽¹⁾

3- لا تستهين السلطات الإسرائيلية بالجهد الخيري والاجتماعي الذي مارسته الحركة في دعم وكفالة الأيتام وأبناء الشهداء والأسر الفقيرة في الضفة والقطاع، معتمدة على التبرعات التي حصلت عليها من فلسطينيي الـ48، ورغم ممارسة ذلك بشكل علني وقانوني، فقد كان مصدر اتهام لها، وسبباً في إغلاق جمعياتها، واعتقال أبنائها تحت بند أن هذه الأموال تذهب للمقاومين بشكل أو بآخر.

وتقول د. "سارة أوساتسكي لازر" المتخصصة الإسرائيلية في شؤون عرب الـ48: "قيادة الحركة الإسلامية ستواصل العمل في إطار القانون حتى بعد إخراجها عن إطاره؛ لأنها لا ترغب في التنازل عن مراكز القوة التي راكمتها خلال السنين، وستواصل المشاركة في اللعبة تحت أسماء وأقنعة أخرى".⁽²⁾

وحسب رأيها: "يكنم الخطر في تلاشي "الخط الأخضر" بصورة متزايدة؛ لأن إخراج الحركة عن القانون سيزيل العائق الرئيسي الذي يفصل بين أغلبية مؤيديها والذراع العسكري لحركة حماس، تماماً مثلما يحدث مع المستوطنين؛ لأنها عملت حتى الآن سراً وعلنياً وفقاً للقانون، وإخراجها عنه سيغير من طابعها، وستدفع قسماً ملموساً منها للعمل العنفي".⁽³⁾

ومما عزز من هذا القلق الإسرائيلي، ما وقع يوم 1999/9/5 من تفجير سيارتين مفخختين في مدينتي طبريا وحيفا؛ يقودهما أشخاص من قريتي "دبورية والمشهد" في الجليل الأعلى، اتهمتهم الشرطة الإسرائيلية بالانتماء للحركة، ومن حينها بدأت موجة من الخطوات ضد الحركة من قبل الجهات الأمنية.⁽⁴⁾

فيما قال د. "إسحاق ريتز": "تقف "إسرائيل" اليوم أمام معضلة واجهتها أنظمة عربية في السابق في التعامل مع الحركة الإسلامية؛ لأن إخراجها عن القانون هو "سير في الطريق الأسهل" الذي

(1) لطفي، صالح، نظرات في انتفاضة الأقصى، مجلة شؤون دولية، ع16، 2001، ص40.

(2) مواجهة الحركة الإسلامية وصولاً إلى الإخراج عن القانون، مركز الدراسات المعاصرة، أم الفحم، ص4.

(3) المرجع السابق، ص12.

(4) يديعوت أحرونوت، 2000/10/4.

الحركة الإسلامية في فلسطين الـ48 بين عامي 1971-2004م

ستكون إحدى نتائجه توجه قسم من أفرادها للعمل المسلح كما حدث مع الدول العربية؛ ما سيُدخلها في دوامة أخرى، وجحيم لا يطاق، وهي لم تتخلص بعد من "كابوس الانتفاضة المزعج"، ولا تريد فتح أبواب أخرى عليها".⁽¹⁾

وهكذا رأت السلطات الإسرائيلية في الحركة خطراً استراتيجياً عليها، ليس فقط بسبب مواقفها السياسية ومنطقاتها الفكرية، بل وممارساتها العملية، ولحرصها الدؤوب على نزع الشرعية عن "إسرائيل"، وتمائلها مع أعدائها، وفقاً لوثيقة قدمها مجلس الأمن القومي الإسرائيلي للحكومة في مارس آذار 2004، بعد أن رصدت تحركات الحركة، ورأت أنها تهدف إلى دفع الفلسطينيين للانفصال عن الدولة، ومؤسساتها، في ظل حالة انعدام الثقة بينهما.

ويعتقد بعض الساسة وكبار الجنرالات والباحثين والصحافيين الإسرائيليين أن الخطوة الأولى التي يتوجب اتخاذها لمواجهة الحركة بنجاحة تتمثل بإخراجها عن إطار القانون، ومنعها من المشاركة في الانتخابات المحلية.

ويستهجن أحد المتحمسين لذلك الجنرال المتقاعد "يهود ياتوم"، رئيس قسم العمليات في جهاز "الشاباك" السابق، أن تطالب "إسرائيل" بإخراج الحركات الإسلامية في البلدان العربية بحجة تقديمها الدعم للمقاومة الفلسطينية، في الوقت الذي تغض فيه الطرف عن وجود الحركة الإسلامية التي تقدم الدعم لحركة حماس أكثر أعدائها وحشية، مشدداً على "الخطر الهائل" الذي يكمن في عمل الحركة.⁽²⁾

أما وزير الأمن الداخلي السابق، ووزير البنية التحتية الحالي، "عوزي لاندائو"، فقال إن "إخراج الحركة عن القانون جزء لا يتجزأ من الحرب ضد "الإرهاب"، معاتباً صناع القرار في تل أبيب على عدم استغلال الأجواء التي سادت في أعقاب تفجيرات سبتمبر 2001".⁽³⁾

وأمام كل ذلك، لم يتبق أمام السلطات الإسرائيلية إلا خياران، أحلاهما مر:

- 1- إما أن تقوم بـ"تركيع" الحركة، وتعمل على الحد من نشاطها،
- 2- وإما أن "تستسهل" الأمر، وتقوم بحظرها، وإخراجها من دائرة الشرعية، وإغلاق مؤسساتها، وكلاهما يضر بـ"إسرائيل" من عدة زوايا داخلية وخارجية.

(1) مصطفى، مرجع سابق، ص29.

(2) جلبوع، عاموس، مسوغات التجفيف، معاريف، 2006/5/13.

(3) هارتس، 2006/7/19.

د. عدنان أبو عامر

وتبع القراءات الإسرائيلية المتتالية، تقديم توصيات من جهاز "الشاباك" والشرطة تبنتها دوائر صناع القرار ضد الحركة، تتلخص فيما يلي:

- أ. تُمنع خطب صلوات الجمعة في المساجد لخطباء الحركة، أو مقربيهم،
- ب. حظر دخول الشيخ صلاح ونائبه الخطيب إلى قطاع غزة أو الضفة الغربية، ومنعهما من السفر خارج البلاد،
- ج. فحص المصادر المالية للحركة، ومراقبة الأموال التي تدخل المناطق الفلسطينية،
- د. منع المهرجانات والتجمعات الكبيرة للحركة،
- هـ. إغلاق صحيفة "صوت الحق" الناطقة بلسانها، وإغلاق محطة "الكوابل" في أم الفحم،
- و. حظر المؤسسات التربوية التعليمية التابعة للحركة، ممن لا تحمل ترخيصاً، كالكليات الإسلامية في أم الفحم.

وبتاريخ 1995/2/8 ناقشت الكنيست تقارير صحفية عن سيطرة الحركة على المجالات الدينية، التربوية، الصحة والرفاهية في التجمعات العربية، بدعوة من الكتل البرلمانية الإسرائيلية "تسومت، الليكود، ميرتس، العمل، المفدال"، وزعم عضو الكنيست "موشيه بيلد" بأن "الحركة الإسلامية سرطان في جسد الأمة الإسرائيلية"، وعلى الحكومة إيقاف الانجرار وراء نشاطاتها، وإذا لم تفعل ذلك، فإنهم سيحطمونها من الداخل".⁽¹⁾

ورداً على ذلك، أكدت "لجنة المتابعة العليا للجماهير العربية في إسرائيل"⁽²⁾ رفضها للقرارات الحكومية، المتعلقة بتحديد نشاط الحركة، واعتبارها عودة للتعامل الأمني مع الجماهير العربية.

وظلت الحركة تتحرك بما توفر لها من هوامش متوفرة لتعزيز قناعاتها الإسلامية والوطنية، مقابل تحرك السلطات الإسرائيلية ضمن موازاناتها الداخلية ورؤاها الاستراتيجية، واستغلالها لكل مساحة لملاحقة الحركة، وجمعت استخبارياً كل ما يؤيد دعواها، ما يؤكد أنها انتقلت فعلاً من مرحلة "القبضة اللينة إلى الحديدية"، ومن "التصريحات إلى الأفعال".⁽³⁾

(1) معارف، 1995/2/8.

(2) لجنة أقيمت عام 1974 لتحقيق مسائل تتعلق بحقوق العرب في إسرائيل، وينصوي تحت لوائها: رؤساء السلطات المحلية، أعضاء الكنيست العرب، ممثلو الحركة الإسلامية، مندوبو اتحاد الطلبة الجامعيين.

(3) انتهاكات حقوق الإنسان في الداخل الفلسطيني، مركز الدراسات المعاصرة، أم الفحم، 2001، ص6.

الحركة الإسلامية في فلسطين الـ48 بين عامي 1971-2004م

الخاتمة

أخيراً، يبدو أن الصدام بين الحركة الإسلامية ومشروعها، و"إسرائيل" وسياساتها أمر حتمي، لكن المرجح في ضوء تباين وجهات النظر الأمنية الإسرائيلية تجاه الحركة هو بقاء القبضة الحديدية في حدودها، مع إمكانية استمرارها في ضوء صعود اليمين الإسرائيلي خلال الانتخابات الأخيرة، مما يرجح أن تبقى العلاقة في هذا الإطار، مع فرضية أن تكون مرشحة للتطور نحو سيناريو أسوأ بفعل عدة عوامل، خارجية وداخلية.

مراجع الدراسة

أ- المراجع العربية

- 1- انتهاكات حقوق الإنسان في الداخل الفلسطيني، مركز الدراسات المعاصرة، أم الفحم، 2001.
- 2- دليل الجمعيات والمؤسسات الإسلامية، الحركة الإسلامية، اللجنة الإعلامية، أم الفحم، 2001.
- 3- أبو ريا، عصام، تطور القيادة العربية دراسة الحركة الإسلامية في أم الفحم، الجامعة العبرية، القدس، 1991.
- 4- صلاح، رائد، التيار الديني والحركة الإسلامية، ندوة فكرية بعنوان: خبرات الحركة السياسية الفلسطينية في القرن العشرين، المركز القومي للدراسات والتوثيق، غزة، حزيران، 2000.
- 5- أبو عامر، عدنان، الحركة الإسلامية بين الدعوة والسياسة، مركز الإعلام العربي، القاهرة، 2006.
- 6- عبد الهادي، مهدي، تحرير، الإسلام في فلسطين المعاصرة، وقائع مؤتمر دراسي، رام الله، أيلول 2004.
- 7- عبد الله، إبراهيم، الحركة الإسلامية في فلسطين 48: نظرة من الداخل، بدون تاريخ ولا دار نشر.
- 8- علي، نهاد، الحركة الإسلامية في إسرائيل: الأيديولوجيا والأهداف، جامعة حيفا، رسالة ماجستير، 1998.
- 9- عيسى، نضال، الأحزاب السياسية داخل 48 الاهتمامات والعوائق، رسالة ماجستير، جامعة القدس، 2008.

د. عدنان أبو عامر

- 10- مالك، إبراهيم، الحركة الإسلامية في إسرائيل بين الأصولية والعقلانية، "جفعات حبيبه"، تل أبيب، 1990.
- 11- مؤسسة الأقصى لإعمار المقدسات، التقرير السنوي، أم الفحم، 2003.
- 12- مجموعة مؤلفين، الحركة الإسلامية في إسرائيل، مركز المسبار للدراسات والبحوث، أبو ظبي، 2009.
- 13- مواجهة الحركة الإسلامية وصولاً للإخراج عن القانون، مركز الدراسات المعاصرة، أم الفحم، بدون تاريخ.

ب- المراجع الإسرائيلية

- 14- أويان، باز، الميثاق الإسلامي ودلالاته، مركز موشيه ديان، تل أبيب، 1988.
- 15- إيلي، ريخس، الحركة الإسلامية في إسرائيل، معهد موشيه ديان لدراسات الشرق وإفريقيا، تل أبيب، 1993.
- 16- بابه، آيلان، رؤية الحركة الإسلامية في إسرائيل للسلام في المنطقة، دار "جفعات حبيبه"، تل أبيب، 1993.
- 17- باري، عوفر، الجمعيات الإسلامية في الجليل الأسفل، رسالة ماجستير، جامعة حيفا، 1997.
- 18- باز، رؤوبين، تطور العامل الإسلامي الفلسطيني 1967-1988، رسالة ماجستير، جامعة حيفا، 1989.
- 19- بوميل، يائير، الحكم العسكري الإسرائيلي وعملية إغائه، رسالة دكتوراه، جامعة حيفا، 2006.
- 20- توماس، مائير، صحوة المسلمين في إسرائيل، دار "جفعات حبيبا"، تل أبيب، 1988.
- 21- جلبوع، عاموس، مستقبل العلاقة بين إسرائيل والعرب، جامعة تل أبيب، يوم دراسي، 2005/2/20.
- 22- دور، إيهود، متطرفو الإسلام في إسرائيل، دار حوتم، تل أبيب، بدون تاريخ.
- 23- طال، نحمان، الحركة الإسلامية في إسرائيل، جامعة تل أبيب، مركز يافا للدراسات الإستراتيجية، 2000.

الحركة الإسلامية في فلسطين الـ48 بين عامي 1971-2004م

ج-الدوريات العربية

- 24- الشرباتي، عيسى، الحركة الإسلامية في فلسطين الـ48، اتجاهات مختلفة، مجلة الرسالة، ع4، مايو 2001.
- 25- صلاح، رائد، أوراق في المجتمع العصامي، صحيفة صوت الحق والحرية، 2004/6/29.
- 26- أبو عامر، عدنان، الاستهداف الإسرائيلي للحركة الإسلامية في فلسطين الـ48، مجلة البيان، تموز 2007.
- 27- لطفي، صالح، الحركة الإسلامية.. تطلعات وتحديات، مجلة شؤون دولية، أم الفحم، ع1، 1994.
- 28- لطفي، صالح، نظرات في انتفاضة الأقصى، مجلة شؤون دولية، أم الفحم، ع16، 2001.
- 29- مصطفى، مهند، انتخابات الكنيست في الوسط العربي.. المقاطعة والمشاركة، شؤون دولية، ع18، 2003.
- 30- المجتمع العربي في الداخل الفلسطيني، مركز الدراسات المعاصرة، 2006.

د - الدوريات الإسرائيلية

- 31- أرنس، موشيه، الحركة الإسلامية والبدو، هآرتس، 2002/10/29.
- 32- أورغاد، لائيف، خطر الحركة الإسلامية، معاريف، 2007/4/4.
- 33- ايتنبيرغ، يائير، يسيطرون على المساجد، هآرتس، 2004/4/12.
- 34- بن أهارون، يوسي، حكم أم الفحم، صحيفة "هتسوفيه"، 2003/9/2.
- 35- جلوبوع، عاموس، مسوغات التجفيف، معاريف، 2006/5/13.
- 36- ديختر، آفي، ما العمل مع الحركة الإسلامية؟ يديعوت أحرنوت، 2004/12/2.
- 37- يهوشوع، يوسي، انخفاض عدد البدو في الجيش الإسرائيلي، يديعوت أحرنوت، 2003/4/4.

ملاحق الدراسة

1- أهم الأحداث التاريخية التي عاشتها الحركة الإسلامية 1971-2004م

التاريخ	الحدث
1971	الإعلان رسمياً عن تأسيس الحركة الإسلامية داخل "إسرائيل"
1978	إقامة فروع للحركة الإسلامية في مدن الناصرة وبقاغة الغربية والمثلث
1981	الكشف عن التنظيم المسلح "أسرة الجهاد"، والحكم بالسجن على عدد من أفراد الحركة الإسلامية
1984	إطلاق سراح كوادر الحركة الإسلامية المتهمين بالانتماء لتنظيم "أسرة الجهاد"
1989	الحركة الإسلامية تخوض الانتخابات البلدية، وتفوز بنسبة تفوق الـ70%
1989	إصدار العدد الأول من صحيفة "صوت الحق والحرية" الناطقة بلسان الحركة الإسلامية
1992	أنصار الحركة الإسلامية يهاجمون قاعدة "غلعاد" العسكرية، ويقتلون أربعة جنود
1995	الكنيست تناقش تقارير أمنية حول أنشطة الحركة الإسلامية المعادية للدولة
1996	انتخاب الشيخ رائد صلاح رئيساً للحركة الإسلامية داخل إسرائيل
1996	الحركة الإسلامية تعلن مقاطعتها للانتخابات البرلمانية الإسرائيلية العامة
1996	انقسام الحركة الإسلامية إلى فريقين عرفا لاحقاً بـ: الجناح الشمالي والجناح الجنوبي
1999	وقوع عمليتين فدائيتين في إسرائيل اتهم منفذوها بالانتماء للحركة الإسلامية في الداخل
2001	الشيخ رائد صلاح يستقيل من عمله البلدي للتفرغ لأنشطة المسجد الأقصى
2002	السلطات الإسرائيلية تغلق صحيفة صوت الحق والحرية، الناطقة بلسان الحركة الإسلامية
2003	اعتقال ثان للشيخ رائد صلاح، والحكم عليه بالسجن عامين بتهمة تمويله لحركة حماس
2003	أحد أفراد الحركة ينفذ عملية فدائية بمدينة نتانيا تسفر عن مقتل وإصابة عشرات الإسرائيليين

الحركة الإسلامية في فلسطين الـ48 بين عامي 1971-2004م

2003	الشبابك الإسرائيلي يشن أكبر حملة اعتقالات في صفوف الحركة بتهم ارتباطهم بحماس
2004	مجلس الأمن القومي الإسرائيلي يقدم تقريراً استخبارياً يعتبر بموجبه الحركة خطراً إستراتيجياً
2004	الحكومة الإسرائيلية تدرس عملياً إدراج الحركة الإسلامية تنظيمياً خارج القانون

2- المبنى التنظيمي للحركة الإسلامية في فلسطين الـ48

